التعاون والعمل

المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾

بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

التقدم والتلاحم

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

الذين يحبهم الله عزوجل هم المجاهدون لإعلاء كلمته وفي سبيل رضوانه، في حال كونهم مصطفّين بلا تبعثر أو تفرّق، كأنهم من شدة ثباتهم بناء مرصوص أُحكم بناؤه.

ويمكن في ضوء هذه الآية الكريمة أن نتناول جانبين تعرضت لهما الآية، وهما: التقدم والتلاحم.

الجانب الأول: مسألة الرقي والتقدم، وبذل الغالي والنفيس في ذلك، حيث قال تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ فإن هذه الكلمة تعني ـ من ضمن

---

(١) سورة الصف: ٤.

ما تعنيه ـ السعي الحثيث وبكل ما يملك الإنسان نحو اعتلاء سُلّم الرقي والتقدم والوصول إلى الأهداف والدفاع عنها في سبيل الله، فإن الجهاد والمقاتلة دفاعاً عن الأهداف العالية يكشف عن الاهتمام بالترقي والتقدم حتى إنهم يقاتلون ويضحون بأنفسهم في سبيله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «جاهدوا تغنموا»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»[3].

يذكر علماء الإجتماع أن حركة الشعوب تنقسم على ثلاث مراحل: إما أن تكون بحالة تقدم، أو حالة تراجع، أو حالة استقرار وركود.

ولو أخذنا ـ على سبيل المثال ـ حرباً دائرة بين دولتين، فإذا تمكنت إحداهما من تحقيق انتصارات واقعية على الأرض، تمكنت من خلالها اكتساح الطرف الآخر، فإنها تمر بحالة من التقدم العسكري، واذا لم تتمكن من ذلك، فإنها تمر بحالة من التراجع والتقهقر، وربما كانت الحرب الدائرة سجالاً بين الطرفين دون أن تتحقق الغلبة لأحدهما على الآخر، فهذا أقرب ما يكون إلى حالة الركود والجمود، وإن كان الأصح أنه حالة تقهقر وتراجع لأن الحرب تعني الخراب والدمار، ومن هنا

---

(١) الكافي: ج٥ ص٨ باب فضل الجهاد ح١٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٨ باب فضل الجهاد ح١٤.

(٣) الكافي: ج٥ ص٥ باب فضل الجهاد ح٥.

كانت محرمة في الشريعة الإسلامية إلاّ في أقصى موارد الضرورة.

وهكذا المعيار في سائر شؤون المجتمع.

والمطلوب من المؤمنين ـ كأُمة ـ أن يكونوا دائماً سائرين في طريق التقدم والبناء في أجواء من الوحدة والتعاون والمودة، فهو الطريق الموصل إلى رحمة الله تعالى ورضاه. أما حالة الركود ـ فكيف بالتراجع ـ فهي لا تليق بالمؤمنين، بل عليهم أن يرتقوا في كل يوم مرحلة في سلّم التطور والتقدم.

المغبون والملعون

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شر يوميه فهو محروم، ومن لم يبال بما رُزئ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كان في غده شراً من يومه فهو مفتون، ومن لم يتفقد النقصان في نفسه دام نقصه، ومن دام نقصه فالموت خير له»[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٨٢ باب النوادر ح٥٨٣٣.

(٢) أعلام الدين: ص٣٠٣ من كلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»[1].

وهذه الأحاديث الشريفة تبين لنا معيار التقدم والتأخر، والغبن واللعنة في هذا الباب.

فالمؤمن ـ كفرد أو كمجتمع وأُمة ـ إذا كان يوماه متساويين فهو مغبون، حيث قد ألحق بنفسه ضرر عدم التقدم؛ لأن وقتاً من عمره مضى ولم يستزد شيئاً جديداً في يومه الجديد.. وبعبارة أخرى: إنه يمر بحالة من الركود والجمود، وأسوأ من ذلك هو الذي يكون يومه أسوأ من أمسه؛ إذ يمر بحالة التراجع والتأخر. فحالة التقدم المنشودة لا تكون إلاّ إذا كان يومنا أفضل من أمسنا.

شروط التقدم

هناك شروط ومقومات عديدة لتقدم الأمة وتطورها، من أهم هذه الشروط: الإخلاص والعمل الدؤوب.

فالأمة التي لا تكون مخلصة فيما بينها، والأمة الكسولة التي لاتعمل، لاتتقدم أبداً، بل تتأخر يوماً بعد يوم.

الإسلام كل لا يتجزأ

---

(١) كشف الغمة: ج٢ ص٢٥٢.

ثم إن من أهم ما يضمن لنا السير في طريق التقدم هو شدة ارتباطنا بالإسلام الحنيف بكل أبعاده دون تجزئة وتبعيض، فالإسلام كلّ لايتجزأ، وهو النهج الذي يرتقي ببلادنا صوب التقدم متحدياً كل الحواجز والعقبات التي وضعها الاستعمار في طريقنا؛ وذلك لما يمتلكه الإسلام من مميزات وخصائص تشكّل ضمانة لتقدم الأمة، فالإسلام يضمن لنا الاستقلال والحرية؛ ويزودنا بسلاح الإيمان وروح التضحية والشهادة، ويحثنا على تهيئة مقومات الاستقلال والوقوف بوجه كيد الأعداء ورد خططهم، وذلك عبر نشر الثقافة والوعي قبل كل شيء، ومن ثم تقوية المسلمين من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والعسكرية.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١). ويقول الرسول الأكرم ﷺ: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»(٢).

أما الأخذ بجانب وترك جانب فهو لا ينتج إلاّ التأخر، فمثلاً الاسلام يضمن لنا الاكتفاء الذاتي عبر الاقتصاد السليم الذي منه تبدأ عملية التنمية الحقيقية والاستقلال عن التبعية للشرق والغرب، حيث يجعل الإسلام كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية حراً في مختلف الميادين

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٩٠ ثواب ارتباط الخيل.

الاقتصادية بلا جمارك ولا رسوم ولا ضرائب غير مشروعة، فيكون فرداً مخلصاً مجداً في سبيل التنمية الاقتصادية. أما الاهتمام بالجانب العسكري فقط وترك الجوانب الأخرى الأهم كالجانب الثقافي والسياسي والاقتصادي وما أشبه فإنه لا ينتج إلا التأخر والدمار.

التنظيم الاجتماعي

ومن أهم مقومات التقدم: روح التعاون التي يحث عليها الإسلام، إن الدين الإسلامي يهتم ببناء تنظيم اجتماعي راق وسام تسود فيه الأخلاق الطيبة والتضحية وحب الآخرين وقضاء حوائجهم وما إلى ذلك من مصاديق التعاون والمحبة، وكان هذا ما يثير إعجاب غير المسلمين لما يرونه من الترابط والتآلف بين المسلمين، فبدءً من تقوية العلاقات الأسرية إلى تقوية العلاقات الاجتماعية الأخرى بين مختلف أبناء الأمة [1]، خاصة النشاطات التي تنبثق في المساجد والمؤسسات الدينية والاجتماعية التي تمنح القوة الفكرية والميدانية للأمة الإسلامية في مختلف المجالات الحيوية.

وقد ورد في جملة من الروايات بيان أحكام العشرة والمعاشرة في السفر والحضر وغيرها [2]، مع المؤمنين والمنافقين وسائر الناس، نذكر

---

(١) وهناك جملة كبيرة من الروايات في الآداب الاجتماعية ذكر قسماً منها الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في كتاب (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: طريق النجاة) و(السبيل إلى أنهاض المسلمين) و(الصياغة الجديدة) و(الفقه: السلم والسلام) وغيرها، فراجع.

(٢) كما في وسائل الشيعة: ج١٢ تحت عنوان أبواب أحكام العشر ة في السفر والحضر، وفيه مائة وست وستون باباً تتضمن أحاديث شريفة تبين آداب واخلاق العشرة والمعاشرة، التي ينبغي للمؤمن التقيد بها في علاقته مع مختلف أصناف الناس.

بعضاً منها:

عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟

قال عليه السلام: «تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم»[1].

وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

«اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي، السلام، وأوصيكم بتقوى الله عزوجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم؛ فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر. والله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة،

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥ ب١ ح١٥٤٩٥.

وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه، فتقول: من مثل فلان، إنه آدانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه، ولا يعرف حق جاره!».[2]

وعنه عليه السلام قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتهجم بعضكم على بعض، ولا تضاروا، ولا تحاسدوا، وإياكم والبخل، وكونوا عباد الله المخلصين»[3].

وكان عليه السلام يقول لأصحابه: «اتقوا الله، وكونوا إخوةً بررةً متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[4].

وورد عن ابن أعين أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: عن حق المسلم على أخيه، فلم يجبه! قال: فلما جئت أودعه قلت: سألتك فلم تجبني! قال

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥ ب١ ح١٥٤٩٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٦ ب١ ح١٥٤٩٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥ ب٥ ح١٥٥١٩.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٧٥ باب التراحم والتعاطف ح١.

عليه السلام: «إني أخاف أن تكفروا، وإن من أشد ما افترض الله على خلقه ثلاثاً: إنصاف المؤمن من نفسه حتى لا يرضى لأخيه المؤمن من نفسه إلاّ بما يرضى لنفسه، ومواساة الأخ المؤمن في المال، وذكر الله على كل حال، ليس سبحان الله والحمد لله، ولكن عندما حرم الله عليه فيدعه».[1]

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن مَلَكاً مرّ برجل على باب، فقال له: ما يقيمك على باب هذه الدار؟ فقال: أخٌ لي فيها أردت أن أسلّم عليه.

فقال له المَلَك: بينك وبينه قرابةٌ أو نزعتك إليه حاجة؟

فقال: لا ما بيني وبينه قرابة، ولا نزعتني إليه حاجة؛ إلاّ أخوة الإسلام وحرمته، فأنا أسلّم عليه وأتعهده لله رب العالمين.

فقال له الملك: أنا رسول الله إليك وهو يقرئك السلام، ويقول لك: إياي زرتَ ولي تعاهدتَ، وقد أوجبتُ لك الجنة، وأعفيتك من غضبي، وأجرتك من النار»[2].

كما ورد استحباب سؤال الإنسان جليسه عن اسمه وكنيته وعمله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أحب أحدكم أخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الواجب وصدق

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٧ ب١٤ ح١٥٥٥٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥٦ ب٣٢ ح١٥٦٣٥.

الإخاء أن يسأله عن ذلك، وإلاّ فإنها معرفة حمق»[1].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون، وتوطأ رحالهم»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لايألف ولا يُؤلف»[4].

وعنه عليه السلام قال: «من زي الإيمان الفقه، ومن زي الفقه الحلم، ومن زي الحلم الرفق، ومن زي الرفق اللين، ومن زي اللين السهولة»[5].

وكذلك وردت روايات كثيرة تدل على استحباب البشاشة عند رؤية القادم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٧١ باب النوادر ح٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٤٥ ب١٠١ ح١٥٨٩٤.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٠٢ باب حسن الخلق ح١٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٨ ب١٠٥ ح١٥٩٤١.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي: ص١٨٩ المجلس٧ ح٣١٨.

الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من خرج في حاجة ومسح وجهه بماء الورد، لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ومن شرب من سؤر أخيه المؤمن يريد بذلك التواضع أدخله الله الجنة البتة، ومن تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنةً، ومن كتب الله له حسنةً لم يعذبه»[2].

وعن الإمام الجواد محمد بن علي الرضا عليه السلام عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»[3].

إلى غير ذلك الكثير من روايات الآداب الاجتماعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهي مما تدل على اهتمام الإسلام بالجانب الاجتماعي والحث على التعاون والمحبة بين أفراد الأمة.

ومن مصاديق التعاون في زماننا تأسيس تنظيمات سياسية نزيهة تضمن استقلال بلادنا وتمنع انتشار الأفكار الهدّامة وتسلل العناصر

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٠٣ باب حسن البشر ح١.

(٢) مصادقة الإخوان: ص٥٢ باب ثواب التبسم في وجوه الإخوان ح١.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٦١ ب١٠٧ ح١٥٩٥٤.

الشريرة إلى داخل المجتمع الإسلامي[1]، على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا.

(١) للتفصيل انظر من كتب الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه): (الدولة الاسلامية) ج١ و٢ و(السبيل الى انهاض المسلمين)، و(الصياغة الجديدة)، و(طريق النجاة)، و(السياسة) ج١ و٢، و(السلم والسلام)، وغيرها..

البناء المرصوص

أما **الجانب الثاني** الذي تعرضت الآية المباركة له، فهو التلاحم.

إن الله تبارك وتعالى شبّه المجتمع الإيماني الذي يطلب الرقي والتقدم ويضحي بنفسه في سبيل الله، بالبنيان المرصوص، في الآية الكريمة حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] والبنيان المرصوص يمتلك ثلاث خصائص متميزة تعطيه هذه الصفة [2]:

الأولى: التراصّ والتماسك بين أجزائه، فلا يرى فيه خلل ولا فراغات، بل هو مشدود بعضه ببعض ومتراصّ.

الثانية: استقامة البنيان وعدم الإعوجاج فيه.

الثالثة: وضع اللبنات الأساسية كل منها في محلها.

وهكذا يريد الله تعالى من المسلمين أن يكونوا كالبنيان المرصوص في تلاحمهم وقوة تماسكهم ليتقدموا على غيرهم.

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) رصص: رَصَّ البُنْيانَ يَرُصّه رَصّاً، فهو مَرْصُوصٌ ورَصِيصٌ، ورَصّصَه ورَصْرَصَه: أَحْكَمَه وجَمَعه وضمّ بعضَه إِلى بعض. وكلُّ ما أُحْكِمَ وضُمَّ، فقد رُصَّ. ورَصَصْتُ الشيء أَرُصّهُ رَصّاً أَي أَلْصَقْتُ بعضَه ببعض، ومنه: بُنْيان مَرْصوصٌ، وكذلك التَّرْصِيصُ، وتَراصَّ القومُ: تضامُّوا وتلاصَقُوا، وتَراصُّوا: تصافُّوا في القتال والصلاة. انظر لسان العرب: ج٧ ص٤٠ مادة (رصص).

خصائص القوة

ثم إن من خصائص القوة خمسة أمور:

١: قداسة الهدف وشفافيته، فإنهم مقاتلون مدافعون لمنع الأعداء من النيل منهم ولتتقدم أمتهم وتزدهر، بكل إخلاص ومعنوية.

٢: عدم وجود نقص وإعوجاج وخلل في أمورهم.

٣: التلاحم والانسجام مع بعضهم.

٤: أن يحتل كل فرد منهم مكانه المناسب، وبعبارة أخرى جعل الفرد المناسب في المكان المناسب من دون ملاحظة المحسوبيات والمنسوبيات.

٥: أن يكون عملهم دؤوباً مستمراً بلا توان وكسل.

مضافاً إلى ضرورة كونه واضح المعالم، وأنه في سبيل الله تعالى ومطابقاً لما أمره تعالى ضمن الضوابط الشرعية.

العرب وإسرائيل

من سلبيات عدم التعاون والعمل الجاد هو سيطرة الأعداء على الأمة، وأوضح مصداق لذلك القضية الفلسطينية.

إن المسلمين والعرب لو اتفقوا وتراصوا مع بعضهم البعض واتحدوا، وعملوا بإخلاص لأجل تحرير فلسطين من اليهود والصهاينة، فإن

إسرائيل لا يمكن لها أن تبقى حتى فترة قصيرة في الوجود.

أما هذه المدة التي تمر على الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين[1]، فإنها

---

(١) نذكر باختصار تاريخ احتلال اليهود لفلسطين: لقد كان عدد اليهود في فلسطين في بداية القرن العشرين قليلاً جداً، ثم خططوا لزيادة عددهم فزاد من (١٢٠٠٠ نسمة) في عام (١٨٤٥م) إلى (٨٥٠٠٠ نسمة) عام (١٩١٤م). فكانت الأغلبية في فلسطين هم العرب المسلمين والمسيحيين، ولكن بدعم من الحركة الصهيونية العالمية وأعداء المسلمين تم تنفيذ خطة كبرى لتهجير أعداد كبيرة من اليهود في أوروبا والعالم إلى فلسطين. ففي عام (١٨٩٦م) دعا ثيودور هرتزل إلى تاسيس وطن قومي لليهود في الأرجنتين أو فلسطين. وتم عقد أول مؤتمر هام للحركة الصهيونية في سويسرا عام (١٨٩٧م) فصدر عنه برنامج عرف بخطة بازل في استعمار فلسطين، وتأسست الحركة الصهيونية العالمية. وفي عام (١٩٠٤) عقد المؤتمر الرابع للحركة الصهيونية، وقرر تأسيس وطن قومي لليهود في الأرجنتين. وفي عام (١٩٠٦م) قرر برلمان الحركة الصهيونية أن يكون الوطن القومي لليهود في فلسطين. في (١٩١٤عام) نشبت الحرب العالمية الأولى ووعدت بريطانيا العرب بالاستقلال عن الدولة العثمانية. في عام (١٩١٦م) تم توقيع اتفاقية سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا حيث تم الاتفاق على تقسيم المنطقة العربية إلى مناطق سيطرة.

وفي (٢ نوفمبر ١٩١٧م) قامت الحكومة البريطانية بإصدار وعد بلفور في هيئة رسالة من وزير خارجيتها جيمس آرثر بلفور الى زعيم الحركة الصهيونية بأن تقوم حكومة بريطانيا بالعمل على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وبعد الحرب العالمية الأولى في عام (١٩١٨م) بدأ اليهود بالهجرة إلى فلسطين بكثافة.

ووفق وعد بلفور وشروط الانتداب قامت سلطة الانتداب بتيسير هجرة اليهود بهدف تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين. كما ازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في الثلاثينات من القرن العشرين بسبب الحملة النازية على اليهود في أوروبا. وفي نفس الوقت شهد العالم تأسيس عدد كبير من الأحزاب و الجمعيات اليهودية في أوروبا ←

→

والعالم، وقد هاجر بعض زعماء تلك الأحزاب إلى فلسطين حيث قاموا بتأسيس الأحزاب المختلفة هناك.

وتم عقد مؤتمر سان ريمو حيث قرر وضع فلسطين تحت الإدارة البريطانية. في عام (١٩٢٢م) أصدرت عصبة الأمم قرار الانتداب البريطاني على فلسطين، حيث يعمل القرار في صالح تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين.

في عام (١٩٣٧م) قدم اللورد روبرت بيل التقرير الذي خلصت له لجنة التي كان يرأسها، حيث ورد في التقرير أن استمرار العمل بنظام الانتداب على فلسطين غير ممكن عملياً، وأنه ليس هناك أمل في قيام كيان مشترك بين العرب واليهود. وقدم اقتراح بتقسيم فلسطين إلى دولتين أحدهما عربية والأخرى يهودية، وتوضع الأماكن المقدسة تحت الإدارة الدولية. وقامت بريطانيا بإصدار قرار يحظر استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين وعرضت الاستقلال للفلسطينين خلال عشرة سنوات. رفضت الحركة الصهيونية تلك المقترحات وقامت بتأسيس عصابات مسلحة للقيام بعمليات دموية ومذابح للبريطانيين والفلسطينين من أجل إجبار بريطانيا على الانسحاب من فلسطين لتأسيس الدولة اليهودية. وفي عام (١٩٤٥م) تأسست جامعة الدول العربية للضغط على بريطانيا من أجل حقوق الفلسطينيين. وبضغط من الرئيس الأمريكي ترومن، ذي الميول الصهيونية الواضحة أرسلت بريطانيا لجنة إنجليزية أمريكية أوصت بالتهجير الفوري لـ(١٠٠،٠٠٠) يهودي أوروبي لفلسطين، كما أوصت برفع القيود عن بيع الأراضي الفلسطينية لليهود، في عام (١٩٤٧م) قررت بريطانيا ترك فلسطين وطلبت من الأمم المتحدة تقديم توصياتها. في عام (١٩٤٧م) تم اقتراح مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين فلسطينية ويهودية على أن تبقى القدس دولية، وتمت الموافقة على الاقتراح من (٣٣) عضواً مقابل رفض (١٣) عضوا، رفض العرب لمشروع التقسيم أدى الى اندلاع العنف بين العرب واليهود مع رفض بريطانيا التدخل وترك الأمور كما هي حتى موعد الانسحاب في (١ أغسطس ١٩٤٨م) وفق مشروع التقسيم. وتم
←

→

تشكيل برلمان وطني كممثل للشعب اليهودي والحركة الصهيونية العالمية، الذي أعلن قيام دولة يهودية في فلسطين تسمى دولة إسرائيل، وتقرر فتح باب الهجرة لكل يهود العالم للكيان الجديد.

فشل العرب في منع قيام الكيان الصهيوني، وغيرت حرب (١٩٤٨م) التركيبة السكانية داخل إسرائيل، حيث قام عدد كبير من الفلسطينيين بالهجرة من الأراضي التي تم احتلالها في عام (١٩٤٨م). وأصبح قطاع غزة الصغير تحت الإدارة المصرية، والضفة الغربية تحت الإدارة الأردنية. وبلغ عدد المهاجرين الفلسطينيين (٦٨٠,٠٠٠) مهاجر حيث غادروا إلى الدول العربية المجاورة، وبذلك أصبح اليهود أغلبية في الكيان الصهيوني الجديد.

ثم قام عدد متزايد من العمليات الفدائية ضد إسرائيل، تم تنفيذها من قبل الفدائيين الفلسطينيين والعرب، في المقابل ردت إسرائيل بانتقام عنيف، وتصاعدت الاحتكاكات على الحدود المصرية الى أن تحولت إلى حرب شاملة في عام (١٩٥٦م)، فشاركت بريطانيا وفرنسا إسرائيل في حربها ضد مصر، حققت إسرائيل خلال أيام قليلة انتصاراً سريعاً على مصر، حيث تم احتلال قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء، وعند وصولهم لضفة قناة السويس بدأت كل من بريطانيا وفرنسا هجومها على مصر. وفي عام (١٩٥٨م) كان انضمام مصر إلى سوريا في الجمهورية العربية المتحدة بداية تغيرات شديدة في الشرق الأوسط، وانضمت اليمن للوحدة. تم تأسيس القوات العربية المتحدة التي نشرت قوات كبيرة على الحدود، واستمرت في إغلاق المنفذ البحري لأسرائيل على البحر الأحمر مع مطالبة جمال عبد الناصر قوات الأمم المتحدة الخروج من مصر واصراره على ذلك، فقامت إسرائيل بمهاجمة مصر والأردن وسوريا بشكل متزامن ومفاجأ في (٥ حزيران ١٩٦٧م)، وبعد ستة أيام انتهت الحرب بنصر إسرائيلي ساحق، حيث دمر سلاح الجو الأسرائيلي المجهز بمعدات حديثة القوات الجوية العربية، وتم احتلال اسرائيل لقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء من مصر

←

لعدم اتحاد المسلمين، ففي كل ليلة وعندما تستمع إلى نشرات الأخبار تجد أن أكثر البلدان العربية والإسلامية منشغلة بالنزاعات التافهة والمعارك الكلامية فيما بينها، يلقي بعضهم باللوم على البعض الآخر، من دون أن يخطو الخطوات اللازمة والحقيقية لإرجاع حق المسلمين في فلسطين، بل إن البعض إتجه بصورة مباشرة ليتفق مع إسرائيل[1]،

→

والقدس الشرقية العربية، والضفة الغربية من نهر الأردن، وهضبة الجولان من سوريا، فأصبحت كل تلك المناطق تحت الاحتلال الإسرائيلي، حيث أصبح حجم إسرائيل أكبر أربعة مرات عما كان عليه عند وقف إطلاق النار في (١٩٤٩م).

في عام (١٩٧٣م) انضمت مصر إلى سوريا في هجوم مفاجئ على إسرائيل في يوم (٦ تشرين الأول) ولم تنجح القوات الأسرائيلية من صد الهجوم، وبعد ثلاث أسابيع من السيطرة العربية على مجريات الحرب تكبدت اسرائيل خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات. نجح هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في فض الاشتباك على الجبهة السورية وكذلك المصرية في (١٩٧٤م)، وفي الأمم المتحدة تم التأكيد على ضرورة قيام دولة فلسطينية مستقلة وتم منح منظمة التحرير مقعد مراقب. تم توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل في (٢٦ مارس ١٩٧٩) فأنهت حالة الحرب بين الدولتين لكن كثيراً من الأمور بقيت معلقة دون حل.

(١) اتفاقية (كامب ديفيد) التي تم التوقيع عليها بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد ١٢ يوماً من المفاوضات في منتجع كامب ديفيد في ولاية ميريلاند، وكانت الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.

قيل: إنه ونتيجة لتدهور الاقتصاد المصري وعدم ثقة السادات بنوايا الولايات المتحدة بممارسة أي ضغط ملموس على إسرائيل، مما مهد الطريق أمام السادات للتفكير بأن على مصر أن تركز على مصالحها بدلا من مصالح الدول العربية، وقيل: كان ←

→

السادات يتوقع أن الاتفاق بين مصر وإسرائيل سوف يؤدي إلى إتفاقات مشابهة للدول العربية الأخرى مع إسرائيل وبالتالي سوف يؤدي إلى حل للقضية الفلسطينية.

وكان الهيكل العام للمحادثات التي استمرت ١٢ يوماً يتمحور على مواضيع رئيسية أهمها: الضفة الغربية وقطاع غزة، وعلاقات مصر وإسرائيل، وعلاقة إسرائيل مع الدول العربية. وكان على إسرائيل العمل على إبرام إتفاقيات سلام مشابهة مع لبنان وسوريا والأردن بحيث تؤدي في النهاية إلى اعترافات متبادلة وتعاون اقتصادي في المستقبل، حسب المقترح الأميركي.

وفي (٢٦ مارس ١٩٧٩م) وقع الجانبان على ما سمي معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، وكانت المحاور الرئيسية للإتفاقية هي: إنهاء حالة الحرب، وإقامة علاقات ودية بين مصر وإسرائيل، وانسحاب إسرائيل من سيناء التي احتلتها عام (١٩٦٧م) بعد حرب الأيام الستة، وتضمنت الاتفاقية أيضا ضمان عبور السفن الإسرائيلية قناة السويس، وإعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية، وتضمنت الاتفاقية أيضا البدء بمفاوضات لإنشاء منطقة حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة والتطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢).

نتج عن هذه الاتفاقية حدوث تغييرات على سياسة العديد من الدول العربية تجاه مصر بسبب ما وصف بتوقيع السادات على اتفاقية السلام دون المطالبة بتنازلات إسرائيلية، ودون المطالبة باعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، حيث تم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام (١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩م) نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية. فقد كان الرأي العربي والعالمي هو: أن الاتفاقية كانت تفريط في منجزات النصر العسكري في حرب أكتوبر وتركيز السادات على إسترجاع سيناء على حساب القضية الفلسطينية، وتلقى السادات انتقادات من الاتحاد السوفيتي ودول عدم الانحياز وبعض الدول الأوروبية.

وعلى صعيد الشارع العربي كان هناك جو من الإحباط والغضب؛ لأن الشارع ←

والبعض الآخر يقدّم أفضل الخدمات لها بممارساته الظلم والاستبداد بالنسبة إلى الشعوب الإسلامية وقمع الكفاءات فيها مما يوجه الضربات القاسية على المسلمين وينهك قواهم.

هذا ولا يخفى أن الإسلام كان أول من حذّر العرب والمسلمين قبل أربعة عشر قرناً من الزمان من الخطر اليهودي، وأول من تحدث عن بغضهم وحقدهم لكلّ ما يمت إلى الإسلام بصلة، حيث قال تبارك تعالى في كتابه الحكيم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..﴾[1].

→

العربي كان آنذاك لا يزال تحت تأثير أفكار الوحدة العربية التي كانت سائدة، واعتبر البعض الاتفاقية منافية لقرار الخرطوم في (١ سبتمبر ١٩٦٧م) والذي تم بعد هزيمة حرب الأيام الستة واشتهر بقرار اللاءات الثلاث، حيث قرر زعماء ٨ دول عربية أنه: لا سلام مع إسرائيل، ولا اعتراف بدولة إسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل.

ويرى البعض أن الاتفاقية كانت في صالح إسرائيل كليا حيث تغير التوازن العربي بفقدان مصر لدورها المركزي في العالم العربي، وفقد العالم العربي أكبر قوة عسكرية عربية، متمثلة بالجيش المصري، وأدى هذا بالتالي إلى نشوء نوازع الزعامة الإقليمية والشخصية في العالم العربي لسد الفراغ الذي خلفه مصر.

وتم رفض الاتفاقية عند عقد قمة للدول العربية في بغداد في (٢ تشرين الثاني ١٩٧٨م) وقررت نقل مقر الجامعة العربية من مصر، وتعليق عضوية مصر ومقاطعتها، وشاركت بهذه القمة ١٠ دول عربية و منظمة التحرير الفلسطينية وعرفت هذه القمة باسم (جبهة الرفض).

(١) سورة المائدة: ٨٢.

فقد وصف الله تعالى اليهود والمشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين، مع أن المسلمين يؤمنون بنبوة موسى عليه السلام والتوراة الصحيح التي أتى بها، فكان المفروض أن يكون اليهود إلى من وافقهم في الإيمان بنبيهم وكتابهم أقرب، ولكنهم ظاهروا المشركين حسداً لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وهكذا نجد اليوم ممارسات إسرائيل المعادية للإسلام والمسلمين تجسّد هذه العداوة التي أشارت لها الآية الكريمة وبكل حقد، ولكن بعض المسلمين لم يستوعبوا هذا الأمر وتشاغلوا عنه بخلافاتهم وفرقتهم التي لا تخدم سوى أعداء الإسلام.

لذا يلزم علينا في المرحلة الأولى أن نتعاون مع بعض ثم نعمل بإخلاص، ولا ندع الأعداء يستفيدون من تفرقنا وتشرذمنا، ومن الواضح أن الشرق والغرب يخافون أشد الخوف من وحدتنا؛ لأنها تعني إنهاء سيطرتهم وتحكّمهم ببلادنا، أما تفرقنا فلا يخدم سوى مصالح عدونا.

وبهذا الصدد كان المرحوم كاشف الغطاء قدس سره[2] وهو أحد العلماء

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ج٣ ص٦١٤ سورة المائدة.

(٢) الشيخ محمد حسين بن علي آل كاشف الغطاء، عالم وفقيه وأديب وسياسي، ولد سنة (١٢٩٤هـ ١٨٧٧م) وتوفي في مدينة كرند الايرانية سنة (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م)، تتلمذ عند السيد اليزدي صاحب العروة الوثقى، والشيخ الخراساني صاحب الكفاية، ←

الكبار ـ وكان في منتهى الشجاعة ـ يقول: بني الإسلام على أساسين:

→

ولازم درسهما من سنة (١٣١٢هـ) حتى وفاتهما، كما درس عند الشيخ الهمداني صاحب مصباح الفقيه، ومن نشاطاته أنه عندما كتب جرجي زيدان كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، ذكر في الجزء الثاني منه ص٣٨٤: أن الشيعة طائفة صغيرة لا تترك أثراً يذكر وليس لها وجود في الوقت الحاضر.

فتصدى الشيخ كاشف الغطاء والشيخ آغا بزرك الطهراني والسيد حسن الصدر لهذه المعلومة المزيفة الخاطئة والكذب والافتراء والخروج عن الموضوعية في البحث في حق مذهب كبير كمذهب أهل البيت عليهم السلام، فبحث السيد الصدر في العلوم الإسلامية، ووضع نتائج بحثه في كتاب (تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام)، وقال فيه الشيخ آغا بزرك الطهراني في ذريعته: ابتكر موضوعاً خصصه بالتدوين وابدع فيه غاية الابداع، وقرر فيه بما صح من التواريخ والسير تقدم علماء الشيعة على سائر علماء الإسلام في تأسيس أنواع العلوم الاسلامية من النحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض واللغة والكلام.. وأثبت فيه سبقهم في التصنيف والتأليف في تلك الأنواع على من عداهم. وكتب الشيخ الطهراني (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) حيث فهرس فيه أسماء ومؤلفات علماء المذهب الشيعي، وهي موسوعة من خمسين مجلداً قضى مؤلفها رحمه الله من حياته في تأليفها خمسين سنة، فجمع موادها أحسن جمع فكانت من أكبر الموسوعات في التأريخ الإسلامي في هذا المجال.

وتصدى الشيخ كاشف الغطاء لنقد جرجي زيدان مباشرة، فكتب كتاب (أصل الشيعة وأصولها)، والفردوس الأعلى، والعبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، والأرض والتربة الحسينية، والمراجعات الريحانية، والدين والإسلام، والتوضيح في الإنجيل والمسيح، وجنة المأوى.

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة[1].

---

(١) فقد كتب ﷺ في مقدمة كتابه (أصل الشيعة وأصولها) تحت عنوان: كيف يتحد المسلمون؟ أو كلمة في الاصلاح لابد منها:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها، إلاّ وقد أحس وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف، حتى أصبح هذا الحس والشعور أمراً وجدانياً محسوساً يحس به كل فرد من المسلمين، كما يحس بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه، وجوعه وعطشه.. صرخ المصلحون فسمع المسلمون كلهم عظيم صرخاتهم بأن داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم الذي لا يصلح آخرهم إلاّ به، كما لا يصلح إلاّ عليه أولهم، ألا وهو: الاتفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والإحن والأحقاد تحت أقدامهم، ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي، والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنار الله بصائرهم، وشحذ عزائمهم، وأشعل جذوة الاخلاص لصالح هذه الأمة من وراء شغاف أفئدتهم، فما انفكوا يدعون إلى تلك الوحدة المقدسة «وحدة أبناء التوحيد» وانضمام جميع المسلمين تحت راية «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» من غير فرق بين عناصرهم، ولا بين مذاهبهم. يدعون إلى هذه الجامعة السامية، والعروة الوثقى، والسبب المتين الذي أمر الله تعالى بالاعتصام به، والحبل القوي الذي أمر الله عزوجل به أن يوصل، يدعون إليها لأنها هي الحياة، وبها النجاة للأمة الإسلامية، وإلا فالهلاك المؤبد، والموت المخلد. أولئك دعاة الوحدة، وحملة مشعل التوحيد، أولئك دعاة الحق، وأنبياء الحقيقة، ورسل الله إلى عباده في هذا العصر، يجددون من معالم الإسلام ما درس، ويرفعون من منار المحمدية ما طمس، وكان بفضل تلك المساعي الدائبة، والجهود المستمرة من أولئك الرجال ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ قد بدت بشائر الخير، وظهرت طلائع النجاح، ودبت وتسربت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة، وصار يتقارب بعضهم من بعض، ويتعرض فريق لفريق، وكان أول بزوغ تلك ←

→

الحقيقة، ونمو لبذر تلك الفكرة، ما حدث بين المسلمين قبل بضعة أعوام في المؤتمر الإسلامي العام في القدس الشريف، من اجتماع ثلة من كبار المسلمين، وتداولهم في الشؤون الإسلامية، وتبادل الثقة والإخاء فيما بينهم، على اختلافهم في المذاهب والقومية، وتباعد أقطارهم وديارهم، ذلك الاجتماع الذي هو الأول من نوعه والوحيد في بابه، الذي علق عليه سائر المسلمين الآمال الجسام، فكان قرة عين المسلمين، كما كان قذى عيون المستعمرين، والذي حسبوا له ألف حساب، وأوصدوا دونه حسب إمكانهم كل باب...

ولكن على رغم كل ما قام به أولئك الأعلام من التمهيدات لتلك الغاية، وما بذلوه من التضحيات والمفادات في غرس تلك البذرة، وتعاهدها بالعناية والرعاية، حتى تثمر الثمر الجني، وتأخذ حظها من الرسوخ والقوة، لا نزال نحن معاشر المسلمين بالنظر العام نتعلق بحبال الآمال، ونكتفي بالأقوال عن الأعمال، وندور على دوائر الظواهر والمظاهر، دون الحقائق والجواهر، ندور على القشور ولا نعرف كيف نصل إلى اللب، على العكس مما كان عليه أسلافنا، أهل الجد والنشاط، أهل الصدق في العمل قبل القول، وفي العزائم قبل الحديث، وتلك السجايا الجبارة التي أخذها عنهم الأغيار فسبقونا، وكان السبق لنا، وكانت لنا الدائرة عليهم فأصبحت علينا تلك ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾.

نحن نحسب أننا إذا قلنا: قد اتحدنا واتفقنا، وملأنا بتلك الكلمات لهواتنا وأشداقنا، وشحنا بها صحفنا وأوراقنا، نحسب بهذا ومثله يحصل الغرض المهم من الاتحاد، ونكون كأمة من الأمم الحية التي نالت بوحدتها عزها وشرفها، وأخذت المستوى الذي يحق لها. ولذلك تجدنا لا نزداد إلاّ هبوطا، ولا تنال مساعينا إلاّ إخفاقا وحبوطا، لا تجد لأقوالنا وأعمالنا أثراً، إلا أننا نأنس بها ساعة سماعنا لها وما هي بعد ذلك إلاّ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾.

ويستحيل لو بقي المسلمون على هذا الحال أن تقوم لهم قائمة، أو تجتمع لهم كلمة، ←

→

أو تثبت لهم في المجتمع البشري دعامة، ولو ملئوا الصحف والطوامير، وشحنوا أرجاء الأرض وآفاق السماء بألفاظ الاتحاد والوحدة، وكل ما يشتق منها ويرادفها، بل ولو صاغوا سبائك الخطب منها بأساليب البلاغة، ونظموا فيها عقود جواهر الابداع والبراعة، كل ذلك لا يجدي إذا لم يندفعوا إلى العمل الجدي، والحركة الجوهرية، ويحرروا أخلاقهم وملكاتهم، ويكبحوا جماح أهوائهم ونفوسهم، بأرسان العقل والروية، والحنكة والحكمة، فيجد كل مسلم أن مصلحة أخيه المسلم هي مصلحة نفسه، فيسعى لها كما يسعى لمصالح ذاته، ذلك حيث ينزع الغل من صدره، والحقد من قلبه، وينظر كل من المسلمين إلى الآخر مهما كان نظر الإخاء لا نظر العداء، وبعين الرضا لا بعين السخط، وبلحاظ الرحمة لا الغضب والنقمة. ذاك حيث يحس بوجدانه، ويجد بضرورة حسه، أن عزه بعز إخوانه، وقوته بقوة أعوانه، وأن كل واحد منهم عون للآخر. فهل يتقاعس عن تقوية عونه، وتعزيز عزه وصونه؟ كلا.

ثم إذا كان التخلق بهذا الخلق الشريف عسيراً لا ينال، وشأوا متعالياً لا يدرك، ولا يستطيع المسلم أن يواسي أخاه المسلم، وأن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، وأن يجد أن صلاحه بصلاح أمته، وعزه بعزة قومه، فلا أقل من التناصف والتعادل، والمشاطرة والتوازن، فلا يجحد المسلم لأخيه حقاً، ولا يبخسه كيلاً، ولا يطفف له وزناً... والأصل والملاك في كل ذلك: اقتلاع رذيلة الحرص، والجشع، والغلبة، والاستئثار، والحسد، والتنافس. فإن هذه الرذائل سلسلة شقاء، وحلقات بلاء، يتصل بعضها ببعض، ويجر بعضها إلى بعض، حتى تنتهي إلى هلاك الأمة التي تتغلغل فيها، ثم تهوي بها إلى أحط مهاوي الشقاء والتعاسة. والبذرة الأولى لكل من تلك الثمار الموبوءة هو: حب الأثرة. وقد قيل: الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضاء، والبغضاء توجب الاختلاف، والاختلاف يوجب الفرقة، والفرقة

←

→

توجب الضعف، والضعف يوجب الذل، والذل يوجب زوال الدولة وزاول النعمة وهلاك الأمة..

والتأريخ يحدثنا، والعيان والوجدان يشهدان لنا شهادة حق، أنه حيث تكون تلك السخائم والمآثم، فهناك فناء الأمم، وموت الهمم، وفشل العزائم، وتلاشي العناصر. هناك الاستعباد والإستعمار، والهلكة والبوار، وتغلب الأجانب، وسيطرة العدو.. أما حيث تكون الآراء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب متآلفة، والأيدي مترادفة، والبصائر متناصرة، والعزائم متوازرة، فلا القلوب متضاغنة، ولا الصدور متشاحنة، ولا النفوس متدابرة، ولا الأيدي متخاذلة، فهناك: العز والبقاء، والعافية والنعماء، والقهر والقوة، والملك والثروة، والكرامة والسطوة، هناك يجعل الله لهم من مضائق البلاء فرجاً، ومن حلقات السوء مخرجاً، ويبدلهم العز مكان الذل، والأمن مكان الخوف . فيصبحوا ملوكاً حكاماً، وأئمة أعلاماً.

وليعتبر المسلمون اليوم بحال آبائهم بالأمس، كيف كانوا قبل الاسلام إخوان وبر ودبر، وأبناء حل وترحال، أذل الأمم داراً، وأشقاهم قراراً، لا جناح دعوة يأوون إلى كنفها، ولا ظل وحدة يستظلون بفيئها، في أطواق بلاء، وإطباق جهل، من نيران حرب مشبوبة، وغارات مشنونة، إلى بنات موؤدة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، ودماء مهدورة. ثم كيف أصبحوا بعد أن جمع الله بالإسلام كلمتهم، وعقد بدين التوحيد وحدتهم، ونشر على دعوة الحق رايتهم. هنالك نشرت الرحمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، حتى تربعت الأيام بهم في ظل سلطان قاهر، وآوتهم الوحدة إلى كنف عز غالب، وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت. فما عتموا أن أصبحوا بعد ذلك الذل وتلك الهنات حكاما على العالمين، وملوكاً في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم. لا تغمز لهم قناة، ولا تقرع لهم صفات.. ذاك يوم كان للمسلمين وحدة جامعة، وأخوة صادقة. يوم كانوا متحدين بحقيقة الوحدة ←

ولعل هذه هي خلاصة رسالة الإسلام في الحياة، ومع ذلك تركناها نحن وتمسك بها أعداؤنا، فتأخرنا وهوينا في مزالق مظلمة بينما تقدم العدو علينا.

الوحدة شعار الأنبياء عليهم السلام

يروى أن رجلاً مرّ بالمدينة المنورة في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، ثم ذهب منها إلى بلاد الروم، فسأله ملك الروم: من هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي بُعث في الحجاز؟ وما هي أبرز مواقفه وأعماله؟

فقال الرجل: عندما اجتزت المدينة، سمعت أن قبيلتين فيها تسمى

→

وصحيح الإخاء. يوم كانت مصالح المسلمين مشتركة، ومنافعهم متبادلة، وعزائمهم متكافلة، ولا يجد المسلم من أخيه فيما يهمه إلاّ كل نصر ومعونة، ورعاية وكفاية. ثم دارت الدوائر، ودالت الأيام والأيام دول، وأصبح المسلم لا يجد من أخيه القريب فضلاً عن البعيد إلاّ القطيعة، بل الوقيعة ولا يرتقب منه إلا المخاوف، بل المتالف، ولا يحذر من عدوه الكافر أكثر من حذره من أخيه المسلم، فكيف يرجى وحال المسلمين هذه أن تقوم لهم قائمة، أو تشاد لهم دعامة؟!

وهيهات أن يسعدوا ما لم يتحدوا، وهيهات أن يتحدوا ما لم يتساعدوا... فيا أيها المسلمون، لاتبلغون الاتحاد الذي بلغ به آباؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ، وتنميق العبارات، أو نشر الخطب والمقالات، وضجيج الصحف وعجيج الأقلام.. ليس الاتحاد ألفاظاً فارغة، وأقوالاً بليغة وحكماً بالغة مهما بلغت من أوج البلاغة، وشأو الفصاحة.. ملاك الاتحاد، وحقيقة التوحيد هنا: صفاء نية، وإخلاص طوية، وإعمال جد ونشاط.

الأوس والخزرج[1] نشبت بينهما حرب طاحنة دامت مائة سنة، ولكن بجهود هذا النبي ﷺ تم الصلح بينهما، بل وآخى بينهما.

فقال ملك الروم: إن هذا لنبي حقاً.

إن من عمل الأنبياء عليهم السلام دائماً التوحيد والتأليف بين الناس، ومن عمل السلاطين والملوك هو التفرقة والمباعدة بين الناس، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[2]، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[3].

وهكذا عرف ملك الروم وقال: إنه نبي لأنه أصلح بين قبيلتي

---

(١) الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من الأزد، وهم أبناء حارثة بن ثعلبة، ارتحلتا من اليمن إثر تصدع سد مأرب، فاستوطنوا المدينة المنورة، نصروا رسول الله ﷺ وآمنوا به، فسموا بالأنصار في قبال المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة. وكانت القبيلتان قبل الإسلام في حالة حرب ونزاع وتخاصم مستمرة ولأبسط الأسباب، وقد اشتهرت تلك الحروب بينهما حتى كانت لها أيام مشهورة عند العرب، منها: يوم الصفينة، وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خطمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروة، ويوم البقيع، ويوم مضرس ومعبس، ويوم الدار، ويوم بعاث الآخر، ويوم فجار الأنصار. وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها، ويقتتلون قتالاً شديداً.

(٢) سورة القصص: ٤.

(٣) سورة النمل: ٣٤.

الأوس والخزرج بعد مائة عام من الحرب. لأنه يعرف أخلاق الملوك وأنهم غالباً متسلطون على رقاب الناس ويعملون على إيجاد التفرقة وإيجاد التباغض بينهم، ويعرف أن الأنبياء عليهم السلام صادقون؛ ويعملون ليل نهار في سبيل إيجاد روح المحبة والوئام، والوحدة والوفاق، ويستثمرون وحدة الناس لصالح الناس وسوقهم نحو الخير والفضيلة.

إذاً الوحدة والتعاون من أهم الأسس التي نحن بأمس الحاجة إليها في هذا الزمان المشحون بالحروب والأحقاد والضغائن..

إسلام الأوس والخزرج

روي أنه قدم أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث[1]، وكانت الأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم. فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء.

---

(١) يوم بُغاث أو بُعاث، بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، هو من مشاهير أيام العرب، وبعاث: اسم حصن للأوس، انظر لسان العرب: ج٢ ص١١٧ مادة «بغث».

قال: وما شغلتكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم ـ النظير وقريظة وقينقاع ـ أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب.

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحِجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلاّ في الموسم، فلا تسمع منه ولاتكلمه؛ فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لابد لي أن أطوف بالبيت؟ فقال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه من القطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحِجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم

صباحاً. فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه، وقال: «قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: (السلام عليكم)».

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ﴿أَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعزّ منك، ومعي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك. والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلاّ لنطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيت له.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١ـ ١٥٢.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم وأسلم، فأسلم ذكوان، ثم قالا: يارسول الله، ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهم ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلّم من القرآن كثيراً، فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، وقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله ﷺ وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أُبيّ شريفاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس،

وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهلم نأتي محلتهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ، فقعد على بئر من آبارهم، واجتمع إليه قوم من أحداثهم، وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشي يفسد شبابنا، فأته وانهه عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إن هذا الرجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة، يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شبابنا، واحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه. فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن. فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: أعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1] فلما سمعها، قال مصعب: والله، لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابنّ أحداً. ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف، لايبقينّ رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلاّ أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليَّ حرام حتى تشهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به. فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية. وأشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم، وذلك لما كان عندهم

---

(١) سورة فصلت: ١ـ ٢.

من أخبار اليهود.

وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبوه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالخروج إلى المدينة، وكانوا يتسللون رجلاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم...[1].

اعتصموا بحبل الله

إن الله تعالى أمرنا في كتابه الحكيم بالتعاون والعمل، حيث قال عزوجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرّ وَالتَّقْوَىَ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدّونَ إِلَىَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

كما أمرنا الله بالاتحاد والتآخي، ونهانا عن التفرقة ومعاداة بعضنا البعض؛ لذا علينا كمسلمين امتثال ذلك، فمن يخالف ويتخذ سياسة التفرقة والمعاداة بدل الاتحاد والتآخي، فليس هو من الإسلام في شيء، وعلى المسلمين معرفة ذلك كي لا تلتبس عليهم الأمور، فيخطط

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص٥٥ الركن الأول ب٣ ف٧.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

الأعداء لتمزيقهم وتشتيتهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانا﴾ (١).

قوله عزوجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ أي: تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللهِ﴾ أي: دينه وقرآنه، شُبّه بالحبل لمناسبة أن من يتمسك بالحبل لابدّ وأن يرتفع به للأعلى، وكذلك من يتمسك بالإيمان يصعد به في الدنيا إلى المراتب الراقية، وفي الآخرة إلى جنات خالدة، وفي بعض الروايات أن حبل الله هم أهل البيت عليهم السلام ﴿جَمِيعاً﴾ أي: جميعكم لا بعضكم دون بعض ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ بأن يتمسك البعض بحبل الله، والبعض بحبل الشيطان، وهذا تأكيد لقوله: (جَمِيعاً)، ﴿وَاذْكُرُوا﴾ أي تذكروا ﴿نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً﴾ قبل الإسلام يعادي بعضكم بعضاً ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ جعلها قريبة بعضها إلى بعض، حيث أدخل الإيمان فيها فخرج ما كان فيها من الضغينة والإحن والحسد والعداوة ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ أي: بسبب نعمة الألفة التي وهبها الله إليكم ﴿إِخْواناً﴾ أحدكم أخ الآخر في الإيمان، له ما لأخيه وعليه ما عليه. وإن هذه النعمة قد خرقت المقاييس الجاهلية القبلية والعشائرية والعرقية والقومية وما أشبهها. وما ورد في بعض الأحاديث أن المراد من حبل الله

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو الأئمة عليهم السلام أو القرآن، فإنما هي مصاديق جلية[1].

ورد عن ابن يزيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾؟ قال: «علي بن أبي طالب حبل الله المتين»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «آل محمد عليهم السلام هم حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾»[3].

وفي (مجمع البيان) في تفسير الآية المباركة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾ قال: أي تمسكوا به، وقيل: امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال: أحدها أنه القرآن، عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي.

وثانيها: إنه دين الله الإسلام.

وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «نحن حبل الله الذي قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾.

والأولى حمله على الجميع، والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيها الناس، إني قد تركت فيكم

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٤ ص١٧ سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص١٩٤ سورة آل عمران ح١٢٢.

(٣) تفسير العياشي: ج١ ص١٩٤ من سورة آل عمران ح١٢٣.

حبلين، إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». ﴿ولا تَفَرَّقُوا﴾ معناه: ولاتتفرقوا عن دين الله الذي أمركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة، واثبتوا عليه. وقيل: معناه لا تتفرقوا عن رسول الله ﷺ. وقيل: عن القرآن بترك العمل به. ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ قيل: أراد ما كان بين الأوس والخزرج، من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، إلى أن ألّف الله بين قلوبهم بالإسلام، فزالت تلك الأحقاد. وقيل: هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل.

والمعنى: احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالإسلام وبالائتلاف، ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف، فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل، مع ما أعدّ لكم من الثواب الجزيل في الآجل؛ إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم بجمعكم على الإسلام، ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾أي: بنعمة الله ﴿إِخْواناً﴾ متواصلين، وأحباباً متحابين بعد أن كنتم متحاربين متعادين، وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخرين، لأن أصل الأخ من توخيت الشيء: إذا قصدته وطلبته. ﴿وَكُنتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: وكنتم يا أصحاب

محمد ﷺ على طرف حفرة من جهنم، لم يكن بينها وبينكم إلاّ الموت، فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولاً، وهداكم للإيمان، ودعاكم إليه، فنجوتم بإجابته من النار. وإنما قال: ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها﴾ وإن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها، من حيث كانوا مستحقين لدخولها [1].

وحدة الأعداء وفرقتنا

لا شك أن الوحدة أساس القوة والتقدم والتعاون والعمل، كما أن الفرقة تشكل العامل الأكبر للنكبات والهزائم التي تصيب الأمة، وليس على المسلمين إلا أن يتحدوا لصد الهجمة الاستعمارية الواسعة التي تشن من مختلف الأطراف وبمختلف الأشكال، لإبادة الروح الإسلامية والقضاء على مبادئ الإسلام، وتعزيز السيطرة الاستعمارية، وفرض الوصاية وتمزيق الأمة الإسلامية.

فالوحدة تمثل حشداً للطاقات وتوجيهها باتجاه واحد يمنح الأمة قوتها الحقيقية.

والذي حصل للمسلمين أن أعداءهم وحّدوا جهودهم ضدهم، لأنهم أدركوا أن وحدتهم وحشد طاقاتهم تمكّنهم من السيطرة على المسلمين، وتمثل تمركزاً لقوتهم باتجاه القضاء على حركة الأمة الإسلامية

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٢ ص٣٥٦ سورة آل عمران.

ومقدّراتها.

فكانت الوحدة شعاراً عملياً لأعدائنا على اختلاف اتجاهاتهم ونواياهم ليتمكنوا من مواجهتنا وتفتيت مجتمعنا، والقضاء على روابطنا الدينية والاجتماعية، وحتى الأسرية، على عكسنا نحن المسلمين إذ ازددنا فرقةً وتناحراً في الوقت الذي اتحدّ فيه أعداؤنا من الكفار والمشركين أو أعداؤنا من الداخل، كبعض حكام بلادنا المستبدين الذين لا همّ لهم سوى البقاء على سدة الحكم تحت مختلف الواجهات.

فأحدهم يدعي أنه: (منقذ الأمة العربية وأملها)!!.

والآخر: (منقذ الدين الإسلامي والمسلمين)!!.

وقد يجعلون لأنفسهم واجهات من الشعارات الديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية أو الإسلامية أو غيرها.

ومن حكام الدول العربية اليوم من يدّعي أنه يمثل: (قيادة القومية العربية)[1]، وفي الوقت نفسه نجده أشد خطراً وفتكاً على العرب من

---

(١) يشير الإمام الراحل (أعلى الله مقامه) إلى الطاغية المدحور صدام التكريتي، طاغوت العراق المخلوع وأتعس نموذج للدكتاتوريين، ربيب أعداء الاسلام وتلميذهم الذي درب ليلبي مخططاتهم وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وقد حافظوا على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات. وصدام هذا ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، ونشأ نشأة غير سوية، حيث كان يعاني من كثرة أزواج أمه وتنقله من بيت إلى بيت، وانتمى إلى حزب البعث، واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى ←

→

سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، وقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط ـ عن أحد كبار المسؤولين العرب ـ بأن عبد الناصر أبلغ المسؤول العربي أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وقد كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الانقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الانقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوما من انقلابهم، أي في يوم (٣٠ تموز). ثم أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد.

وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن غدر بزميله البكر فأقصاه عن الحكم، ألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه ايران عام (١٩٧٥) فهاجم إيران عام (١٩٨٠م) فاندلعت حرب ضروس استمرت ثمان سنوات دمرت الحرث والنسل في البلدين، راح ضحيتها من الشعبين ما يزيد على مليون إنسان، وبعدما توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية الجزائر التي ألغاها!!

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة وتدمير العراق وجيش العراق بحجة إخراجه من الكويت وتم ذلك، فلم تضع تلك الحرب أوزارها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق الحياة وفي كل بناه التحتية، وخلفت هذه الحرب ضحايا لم تضبط أعدادها، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعدا أميركا وإسرائيل بحرقهم بها، والتي لم يستخدمها إلاّ مع شعبه في حلبجة وكربلاء المقدسة وعدد من مدن العراق إبان انتفاضة عام (١٩٩١م) التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدر عدد من قتل وأعدم واختفى بما يزيد على (٥٠٠ ألف) ـ وقيل مليون ـ

←

أعدائهم الآخرين.

والبعض الآخر من الحكام يدعي أنه: (حامي حمى الإسلام) في حين نجده يعتنق مذهباً من أشد المذاهب تعصباً وإثارة للتفرقة وطمس مبادئ الإسلام[1].

→

عراقي.

انهار نظام صدام واحتل العراق بحرب شنتها أميركا وحلفاؤها عام (٢٠٠٣م) فهرب صدام وأعوانه من المعركة، ألقي القبض عليه مختبئا في جحرٍ تحت الأرض بعد كل ما أظهر من الجبروت والكبرياء والفرعنة اتسم بها طيلة حياته وفترة تسلطه على رقاب العراقيين، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم إلقاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، ووقع العراق تحت ظل الاحتلال الأمريكي مما زاد على مآسي العراق مأساة جديدة، ونحن إذ نعد تحقيق هذا الكتاب يكون صدام الهدام في قفص الاتهام ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، فالحمد لله قاصم الجبارين.

(١) إشارة إلى نظام آل سعود الذين تحالفوا مع مؤسس مذهب الوهابية، واتخذوه كمذهب مفروض على الدولة، والوهابيون أو الوهابية فرقة تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي (١١١١- ١٢٠٦هـ). ظهرت في بلاد الجزيرة العربية، ومحمد بن عبد الوهاب هذا كان قد أخذ شيئاً من العلوم الدينية، وكان مولعاً بمطالعة أخبار مدّعي النبوة، كمسيلمة الكذّاب وسجاح والأسود العنسي وطُليحة الأسدي، فظهر منه أيام دراسته زيغ وانحراف كبير، ممّا دعا والده وسائر مشايخه إلى تحذير الناس منه، فقالوا فيه: سيضلّ هذا، ويضلّ الله به من أبعده وأشقاه!.

أظهر دعوته إلى مذهبه سنة (١١٤٣هـ)، ولكن وقوف والده ومشايخه بوجهه فأُبطل أقواله ومزاعمه، فلم تلق رواجاً حتّى وفاة والده سنة (١١٥٣هـ) فجددّ دعوته بين البسطاء والعوام، فتابعه حثالة من الناس، ثار عليه أهل بلده وهمّوا بقتله، ففرّ إلى ←

→

(العُيينة) وهناك تقرب إلى أمير العيينة وتزوج أخت الأمير، ومكث عنده يدعو إلى نفسه وإلى بدعته، فضاق أهل العيينة منه ذرعاً فطردوه من بلدتهم، فخرج إلى (الدرعّية) شرقي نجد، وهذه البلاد كانت من قبل بلاد مسيلمة الكذّاب التي انطلقت منها أحزاب الردّة. فراجت أفكاره، وكان في ذلك كّله يتصرّف وكأنّه صاحب الاجتهاد المطلق.

وقيل: إن أهل اليمن تحدثوا بأن راعياً فقيراً اسمه سليمان، رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه، وانتشرت في الأرض، وصارت تحرق من قابلها، فقصها على معبر، فعبرها بأن ولداً له يحدث دولة قوية، فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المذكور، فلما كبر محمد ذاع صيته في بلده؛ بسبب ترويجه لهذه الرؤيا التي لا يعلم أنها كانت أم لا، فأخبرهم أنه من ذرية النبيﷺ واسمه كاسمه، وأنه يدعو إلى توحيد الله تعالى، وأن القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة، وأن محمداً رسول الله وحبيبه، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم؛ إذ لايليق ذلك إلاّ بالقديم، وأن ذلك من قبيل الإشراك، وأن الله تعالى حيث لم يرض بهذا الشرك أرسله ليهدي الناس إلى سواء السبيل، فمن أجاب أجاب وإلا وجب قتله، فبيّن مذهبه سراً فتبعه جماعة ثم سافر إلى الشام، فلم يتبعه أحد، فرجع إلى بلاد العرب بعد أن غاب عنها ثلاث سنين، فاتبعه ابن سعود وهو من مشائخ عرب نجد، وبعد أن حكم قبيلته تغلّب على قبيلتين من اليمن، وبقوة السلاح والمال تبعته بعض العرب في الجزيرة، فأخذ في الانتشار، ودان به عرب نجد، فرتب محمد مذهبه وأظهر الاجتهاد، فكان هو الرئيس الديني للوهابية وابن سعود رئيس الحكم والحرب، وصارت ذرية كل منهما تتولى رتبة سلفها. واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم، وتقع في الجنوب الشرقي من البصرة في البادية، فلما مات ابن سعود خلفه ابنه عبد العزيز، وكان إذا أراد محاربة قبيلة دعاها إلى اعتقاد القرآن على ما يفسره الوهابية، فإن قبلت وإلا قاتلها، وكان يستصفي جميع الأموال، وإذا أطاعته القبيلة

←

→

أرسل إليها حاكماً ويأخذ منها عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس، فيأخذ عشر الناس بالقرعة، فجمع أموالاً عظيمة ، وصار جيشه يربو على مائة وعشرين ألف مقاتل، فأخضع جميع أهل البادية التي بين البحر الأحمر وبحر فارس وحوالي بلاد حلب ودمشق.

ومن أبرز معتقدات الوهابية: تحريم التوسل والاستشفاع بالأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء إلى الله تعالى، وتحريم بناء قبورهم، أو المساجد قرب مراقدهم، وتحريم التوسل بجاههم عند الله عزوجل في قضاء الحوائج، وتحريم مناداة غير الله تعالى عند الشدائد ولو كان المنادى من الأنبياء أو الأوصياء عليهم السلام فإنهم يعتبرونه شركاً بالله، وإذا سمعوا ذلك من أحد شتموه وضربوه وقالوا له: أشركت، وادّعوا تحريم شرب القهوة والتتن ونحو ذلك، ويتساهلون فيهما بعض الأحيان.

ووصف الشيخ سلمان بن عبد الوهّاب، وهو أخو محمد بن عبد الوهاب ـ وهو أعرف الناس به ـ وقد ألف كتاباً في إبطال دعوة أخيه وإثبات زيفها، وممّا جاء فيه عبارة موجزة وجامعة في التعريف بالوهّابية ومؤسّسها، قال فيها: اليوم ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنّة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولاوالله ولا عُشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهّال، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد هاجم الوهابيون العتبات المقدسة في الحجاز والعراق، فإنهم بعدما ابتدعوا ما ابتدعوا في الدين أباحوا دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين عليهم السلام وباقي الصحابة المؤمنين، فقد أغاروا على مشهد الإمام الحسين عليه السلام فقتلوا الرجال والأطفال، وأخذوا الأموال وعاثوا في الحضرة المقدسة فساداً وحرقاً وتخريباً، فافسدوا بنيانها وهدموا أركانها، وذلك في سنة (١٢١٦هـ) ثم إنهم بعد ذلك استولوا على مكة المشرفة والمدينة المنورة، وفعلوا بالبقيع ما فعلوا بكربلاء المقدسة، لكنهم لم
←

وكل هؤلاء الأعداء نجدهم يجلسون مع بعضهم البعض ويتحدثون

→

يتمكنوا من هدم قبة النبي ﷺ. وفي سنة (١٢٢١هـ) أغاروا على النجف الأشرف وأهلها في غفلة لم يكونوا يعلمون بالخطر الذي دهمهم، حتى أن بعض الوهابية صعدوا السور وكادوا يأخذون البلد، فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، فقُتل من جيشهم كثير ورجعوا خائبين. وفي سنة (١٢٢٢هـ) جاءوا من نجد بما يقرب من عشرين ألف مقاتل أو أكثر، فهاجموا النجف الأشرف غيلة فتحذر منهم أهل المدينة وصدوا هجومهم وتحصنوا بسور البلد، فأتوا ليلاً فرأوا الناس على حذر متأهبين بالبنادق والاطواب، فمضوا إلى الحلة وكانوا كذلك، ثم مضوا إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام غفلة فحاصروها حصاراً شديداً، فثبتوا لهم خلف السور وقتلوا منهم جماعة فرجعوا خائبين، بعد أن عاثوا في العراق فساداً وقتلاً، وبعد استيلائهم على مكة المشرفة والمدينة المنورة هدموا وخربوا وقتلوا من يعترض طريقهم ولايتبع ملتهم وتعطل الحاج ثلاث سنين.

وقد طرد سعود الوهابي قاضي المدينة وجميع خدام الحرم المكي، ومنعوا من زيارة المدينة المنورة، وأن الوهابي أخذ كل ما كان في الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر؛ وعلل فعله بأنها لا ينبغي أن تكون للنبي ﷺ لزهده في الدنيا، وأنه بعث ليكون نبيا لا ملكا. وقيل: إن الوهابي ملأ أربعة صناديق من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر، ومن ذلك أربعة شمعدانات من الزمرد، ونحو مائة سيف لاتقوم قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها الماس وياقوت، ونصابها من الزمرد.

للتفصيل انظر: (الحصون المنيعة) للسيد محسن الأمين، و(الوهابية في صورتها الحقيقية) لصائب عبد الحميد. و(تاريخ نجد) لمحمود شكري الآلوسي، و(الصواعق الإلهية في الردّ على الوهّابية) للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، و(فتنة الوهّابية) لأحمد زيني دحلان، وراجع مذكرات الجاسوس البريطاني (المستر همفر).

وكأنهم أصدقاء على اختلاف اتجاهاتهم وأنظمتهم، لأن مصالحهم واحدة وهي القضاء على قوة الإسلام والمسلمين.

لذلك يلزم علينا أن ندرك الخطر الذي يأتينا من كل صوب ومكان، وعلينا أن نعلم كيف أن الرأسمالية[1] التي تعتقد بأن المال هو أساس

---

(١) الرأسمالية: نظام اقتصادي يتميز بنمط من الإنتاج على تقسيم المجتمع إلى طبقتين أساسيتين:

طبقة مالكي وسائل الإنتاج (الأرض، والمواد الأولية، وآلات وأدوات العمل) سواء كانت مكونة من أفراد أو شركات أو مؤسسات الذين يشترون قوة العمل لتشغيل مشروعاتهم.

وطبقة البروليتاريا المجبرة على بيع قوة عملها؛ لأن ليس لأفرادها وسائل للإنتاج، ولا رأس المال الذي يتيح لهم العمل لحسابهم الخاص.

وإلى جانب هاتين الطبقتين طبقات اجتماعية أخرى من ضمن إطار الرأسمالية، وهم صغار الحرفيين وصغار الفلاحين وصغار التجار. وعلى رغم ذلك فليس بوسع الرأسمالية البقاء والازدهار إلا بوجود الميزتين الأساسيتين المشار إليهما: احتكار وسائل الإنتاج لمصلحة طبقة من المالكين، ووجود طبقة محرومة من وسائل العيش والثروة الطبيعية، وهي مضطرة لبيع قوة عملها لتأمين عيشها، وهذا النمط الرأسمالي يولد ظروف وجودها. وقد مرت الرأسمالية بثلاث مراحل تاريخية ارتبطت كل واحدة منها بثورة صناعية كبرى وتبدلات عميقة في العلاقات بين الطبقات الاجتماعية، فالثورة الصناعية تعتبر عامل من عوامل نهوض الحركة الرأسمالية، فقد ظهرت آلات العمل المسيرة بقوة البخار، وفتحت الفروع الأساسية للمصانع، كصناعة النسيج وصناعة الفحم وصناعة صهر الحديد وغيرها من الصناعات والاستثمارات، والإمبريالية، حيث تمركزت رؤوس الأموال خاصة في الفروع ←

الحياة، أصبحت تتحد مع الشيوعية[1] التي تناقضها وتعتقد خلاف ما

→

الصناعية الجديدة، ولبعض الشركات الكبرى المهيمنة على الإنتاج ووسائله. والثورة التكنولوجية التي غذتها الحروب التي كانت تعصف بالبلدان الأوربية، كالحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والحروب الباردة بين القطبين المتناحرين روسيا وأمريكا. وفي أحداث هذه الطفرة التكنولوجية، فقد حلت الآلات الأوتوماتيكية محل الآلات غير الأوتوماتيكية، وحل الطيران وصناعة الكومبيوتر والمنشآت الكهربائية والبتروكيمياوية محل صناعة الحديد والمنشآت الميكانيكية. فتلك عوامل مهمة ساعدت على نهوض النظام الرأسمالي في العالم.

انظر موسوعة السياسة: ج٢ ص٧٨٨ حرف الراء.

(١) مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وتعد ـ الشيوعية ـ من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً، وتتميز بأنها حركة ثورية ترى أن تحقق إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق لا يكون إلا باستعمال القوة المسلحة؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية.

يرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (١٩٠٣م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين: إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين، فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة: بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية، والشيوعية التي هي مذهب سياسي. تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة والاستبداد، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية ـ كما وضحه ماركس في الإعلان الشيوعي ـ لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه. كما أصبحت سياسة الدول الرأسمالية ـ لاسيما الولايات المتحدة ـ تهدف إلى حصر الشيوعية، والعمل على وقف تسللها وغل يديها عن اكتساب مناطق نفوذ جديدة، فأقامت الأحلاف ←

→

والقواعد العسكرية على حدود الدول الشيوعية، كما منحت الدول التي يخشى وقوعها في نطاق نفوذ الشيوعية قروضاً وإعانات لرفع مستواها الاجتماعي أو لتقوية دفاعاتها، وقد كانت الحرب الكورية والفيتنامية أمثلة لهذا الصراع العقائدي بين الرأسمالية والشيوعية.

تعرف الدول الشيوعية بدول الديمقراطيات الشعبية أو الدول الاشتراكية، في حين أطلق الغرب عليها اسم دول الستار الحديدي أو الدول البلشفية أو الدول الحمراء، ومع أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية يعتبر قاعدة العالم الشيوعي إلا أن المبادئ الشيوعية كما صورها ماركس لم توضع موضع التطبيق الكامل فيها، بل إن الساسة السوفييت بعد وفاة لينين ـ وفي مقدمتهم ستالين ـ لم يروا ضيراً في الانحراف عن المبادئ الماركسية بعض الشيء، وانتهاج سياسة مرنة في معالجة التطبيقات الاقتصادية كحقوق الملكية الخاصة، ومن ثم بدأ الانشقاق العقائدي في المعسكر الشيوعي فاعتبرت الصين الشعبية (ومعها ألبانيا) أن الاتحاد السوفيتي قد تنكر للمبادئ الماركسية الأصيلة، كما سبق أن كان الانشقاق في المعسكر الشرقي بسبب الخلاف حول مدى تبعية الدول الاشتراكية لموسكو، وعلى هذا الأساس نشبت الحرب الباردة في داخل المعسكر الشيوعي بين الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا.

انظر القاموس السياسي: ص٧٠٤ «شيوعية».

ووصلت الشيوعية إلى البلاد الإسلامية ومنها العراق، حيث تغلغلت الأفكار الشيوعية بين أوساط البسطاء من الناس في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ كثير من السذج والبسطاء يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى اثر ذلك شعر الإمام الشيرازي الراحل قدس سره ـ الذي كان عمره الشريف لم يتجاوز الثلاثين ـ والكثير من العلماء بمسؤوليتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة

←

تعتقده الرأسمالية، أصبح كل منهما حليفاً متعاوناً مع الآخر لضرب الإسلام والمسلمين. ذلك لأنهم تيقنوا بأن مصالحهم واحدة تكمن في استغلالنا ومحاربة تطورنا واستقلالنا؟

نقل عن بعض الذين يعملون في قطاع الثقافة الوطنية: أن هناك سبعين محطة راديو غربية وشرقية، عملها فقط النيل من الدول الإسلامية ومبادئ الإسلام!!

لذا لابد لنا أن نبذل ما بوسعنا وبكل ما استطعنا أن ننسجم ونتوحد لأن عدونا يستهدفنا جميعاً بلا تمييز، ولا يمكننا مواجهته بدون الوحدة والتعاون، وعلينا أن ننبذ الصراعات والخلافات الجانبية امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [1]، أي تتبدّد صولتكم وقوتكم نتيجة فرقتكم ونزاعكم..

اليهود في بغداد

→

الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الراحل بعض تلك الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، وذلك في كتاب (تلك الأيام) نشر مؤسسة الوعي الإسلامي، ووصف بعض ما مر على المجتمع نتيجة ظهور تلك الأفكار.

انظر كتاب (تلك الأيام) للإمام الراحل: ص١٢٦. وأيضاً راجع في هذا الباب: كتاب (الفقه السياسة): ج١٠٦ من الموسوعة الفقهية، وكتاب (مباحثات مع الشيوعيين)، و(القوميات في خمسين سنة)، و(ماركس ينهزم)، وغيرها.

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

هناك قصة عن يهود العراق، وهي وإن كانت قصيرة إلاّ أنها ذات دلالة كبيرة تدل على مدى تعاونهم فيما بينهم وعملهم الدؤوب، فقد كان اليهود في بغداد من التجار الكبار، وكانوا من الطبقة الراقية المترفة، بحيث لا يوجد بينهم فقير واحد آنذاك. وإذا أصاب الإفلاس أحدهم لم يكونوا يدعون أحداً يعرف بذلك ويسارعون للاجتماع حوله وينجونه من ورطته.

وفي أحد أهم الأسواق التجارية الكبرى في العراق وهو سوق (الشورجة) أعلن أحد التجار اليهود إفلاسه، فما كان من التجار اليهود إلاّ أن اجتمعوا وقرروا إعطاءه سلعة من السلع وجعلوه ينفرد ببيعها واستيرادها ولمدة ستة أشهر، على أن لا يحق لأي تاجر آخر أن يتعامل بها لا استيراداً ولا بيعاً. وبالفعل فقد تم له ذلك، فعادت أموال هذا التاجر كما كانت، وعاد له نشاطه التجاري ومكانته المالية في السوق، وفي النهاية أنقذوا ذلك التاجر اليهودي من إفلاسه.

وفي طهران

وهناك قصة أخرى مشابهة حدثت في طهران، حيث إن أحد اليهود التجار في طهران انتشر خبر إفلاسه، فسارع الدائنون بتقديم الشكاوى ضده إلى المحكمة، وقرّرت المحكمة أن ترسل لجنة لحجر أمواله كالدكان والبيت والبستان، ولتبيعها وتعطي الدائنين حقهم.

وفي ليل ذلك اليوم اجتمع عشرة من كبار التجار اليهود وجاؤوا إلى دار ذلك اليهودي سائلين منه بأنه كيف أفلس وخسر أمواله؟ وبعد أن

بين لهم ذلك، قالوا له: وكم أنت مدين للآخرين؟ قال: (ستة ملايين تومان) فقام التجار بكتابة شيكٍ بستة ملايين تومان، وقالوا له: تذهب غداً في الصباح الباكر إلى المصرف، وتستلم هذا المبلغ على أن تحوله إلى حسابك الخاص، ثم عد واجلس في دكانك وكلما أتى دائن اكتب له شيكاً بالمبلغ الذي أنت مدين له به وسدّد دينك كله هكذا، وسنزورك في مساء يوم غد ونرى ماذا فعلت؟

وبالفعل قام اليهودي بما طلبوا منه، فوضع ذلك المبلغ في حسابه الخاص، ثم عاد وجلس في دكانه، ولما جاءه الدائنون يطالبون بأموالهم بالصياح والزعيق والمشاجرة، قال لهم بهدوء: ما الخبر؟

قالوا: عرفنا أنك أعلنت إفلاسك، ونحن نريد أموالنا.

فسأل أحدهم: كم تطلب يا هذا؟

قال له: أطلب مائة ألف تومان، فأخرج اليهودي الصك على الفور، وكتب له بمائة ألف تومان.

وهنا سخر الدائنون جميعاً وكانوا يقولون: هذا التاجر وبعد أن أعلن إفلاسه أخذ يكتب صكوكاً بلا رصيد؟ إلا أن اليهودي قال لهم وبكل ثقة: اذهبوا إلى المصرف فإن لم يكن في حسابي أموال، ارجعوا حينذاك وتكلموا ما شئتم.

فراح الدائن الأول إلى المصرف وسلّم الصك واستلم مبلغه وعاد، ثم ذهب الثاني، وهكذا الثالث، وكثير منهم!

هنا توقف الدائنون مذهولين قائلين: اذاً خبر الإفلاس لهذا التاجر لا صحة له، وهو لم يخسر أمواله. فرجع أكثرهم إليه وأعادوا ما أخذوه من مال، كما أن بقية الدائنين والذين كان من المتوقع أن يأتوا ويطالبوا بأموالهم، اقتنعوا بأقوال الدائنين الأوائل ولم يأت منهم أحد! وبعد كل هذا فإن التاجر المفلس لم ينقص من مبلغ ستة ملايين تومان الذي أودع عنده إلاّ نصف مليون واحتفظ بالباقي كله.

وفي المساء جاءه أصدقاؤه من التجار اليهود إلى داره، فقام بدوره وسلّمهم ما تبقى من المبلغ (أي: خمسة ملايين تومان ونصف المليون)، حينذاك قالوا له: إنك تستطيع أن ترجع لنا ما بذمتك متى ما شئت.

والنتيجة: إن هذا اليهودي الذي أعلن إفلاسه قد خرج من محنته دون أن يعلم الآخرون بها، بسبب التعاون وجمع الكلمة والعمل الدؤوب.

وعلى ضوء هذا، نحن المسلمين بحاجة ماسة إلى مثل هذه المواقف من التكاتف والتلاحم والتعاون والعمل، فإن اليهود بالرغم من انحرافهم، وابتعادهم عن الحق، ومعاداتهم للإسلام والمسلمين ـ قديماً وحديثاً ـ كيف يتعاملون مع بعضهم ويقف أحدهم في مساندة الآخر؟ ولكن بعضنا كيف يتعامل مع أخوته المسلمين الآخرين؟

الحال المعكوس

إن حال كثير من المسلمين على العكس تماماً، أذكر لكم قصةً معاكسةً لهاتين القصّتين، والتي اطلعت عليها بنفسي، فإنها مع كونها

قصة قصيرة إلاّ أنها تستحق التوقف عندها، ودراسة أسبابها وسبل معالجتها.

حينما كنا في كربلاء المقدسة، وفي أحد الأيام كنت راجعاً من الصلاة قاصداً المنزل، رأيتُ امرأة واقفة على باب دارنا، وحينما رأتني تقدمت وناولتني رسالة، وعندما قرأت تلك الرسالة وجدت أن بعضاً من علماء بغداد قد كتبوا أن هذه المرأة وزوجها وفقوا لنيل شرف الإسلام بعد أن كانوا على دين المسيحية.

فسألتها: ماذا تريدين؟

قالت: منذ سنة اعتنقت الإسلام أنا وزوجي ولنا خمسة أطفال، وبعد ستة أشهر من اعتناقنا الإسلام مرض زوجي وفارق الحياة، فاضطررت لبيع كل ما كان عندي من الحلي الذهبية، وأنفقتها على أولادي؛ لأنهم صغار ولا أحد يقدر على كفالتهم، وبعد مدة نفذ ما كان عندي من مال ومدخرات ولم يبق منها شيء، فاضطررت على الذهاب إلى الكنيسة، حيث كان فيها صندوق خيري (وكان المتعارف عندهم إذا أتاهم نصراني مريض أو فقير وثبت ذلك لهم بشواهد بسيطة فإنهم يقدمون له مساعدة مالية جيدة)، وعندما ذهبت إلى الكنيسة قالوا لي: إنك لا تستحقين مساعدة من قبلنا بعد إسلامك؛ لأنك أصبحت مسلمة، فاذهبي للمسلمين لكي يعطوك! إلى أن قالت: عدت ولم تسمح لي نفسي أن أذهب لأحد وأقول له ذلك، فقررت بيع ما كل ما أملك من أثاث البيت لأنفقها على أطفالي، وأنا الآن أواجه مشكلة أكبر

من هذا كله، وهي إني لم أكن أقدر على تسديد ما بذمتي من إيجار الدار ولمدة ستة أشهر حتى تراكم المبلغ وصار (٩٠) ديناراً، والآن جاء صاحب الدار وأبلغني منذراً: إذا لم تدفعي الإيجار فإني سأقوم ببيع ما تبقى من أثاث بيتك واستوفي المبلغ، وأطردك خارج الدار، فلا أدري ماذا أفعل، وأنا أعيل هؤلاء الأطفال؟!

وكانت تقول هذا وهي تبكي بحرقة.

فتأثرت كثيراً لها وسألتها: ألم تذهبي ـ في بغداد ـ إلى من يعينك؟

قالت: نعم، ذهبت لبعض الناس وكان مجموع ما أعطوني هو خمسة دنانير، وقد طردني بعضهم وأهانني، وقال لي البعض الآخر: أنت تعتنقين الإسلام كذباً!، وأخيراً أشار عليّ أحد الناس: أن أعرض حاجتي عليكم لكي تجدوا لي حلاً. فأعطيتها مقداراً من المال وذهبت.

ولكن هذا الموقف بقي في بالي حتى الآن، فلماذا نحن هكذا؟!

عندما يأتي مسيحي ويختار دين الإسلام.. بدلاً من أن نريه خير الإسلام ورحمته وعطفه ومحبته، نتركه بوضع كهذا؟ فهل سيرغب مسيحي آخر ـ لو تصرفنا بمثل هذه المعاملة التي لاقتها هذه المرأة ـ ليعتنق الإسلام؟.

وهل هذا الموقف منا ينسجم مع موقف أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، حيث روي أنه: مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما هذا ؟!». قالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال»[1].

نعم، هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا أمر شيعته ومواليه!.

وللأسف إننا تركنا ما أمرنا به الإسلام من التعاون والعمل، لكن اليهود مع قلتهم متكاتفون متحدون، ونحن مع كثرتنا مختلفون ومتشتتون، وكل الذي بيننا هو التناحر والصدامات، وقد أوصى أئمتنا عليهم السلام بإرضاء السائل ولو بالكلمة الطيبة.

ولو كنّا متفاهمين ومتحدين ويتفقد بعضنا الآخر، وكانت لدينا مؤسسات خدمية وصناديق خيرية وقروض شرعية ومعونات إنسانية لمساعدة المحتاجين، وكنّا نعمل بإخلاص لحل مشاكلنا وخلافاتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، لما بقيت لنا مشاكل، ولتقدمنا وتطورنا، فإن الإسلام دين التقدم والتطور.

إن علينا نحن المسلمين أن نعمل من أجل رفاه الناس، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق توحيد الصفوف والحث على التعاون والعمل والتنسيق.

غاندي والعمل والتعاون

أخذ غاندي[2] رجل الهند الشهير بأسس التقدم، من التعاون

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص١٦ ب١٩ ح١٩٩٩٦.

(٢) موهانداس كرامشاند غاندي، زعيم وفيلسوف هندي قاوم احتلال الإنجليز لبلاده، وُلد في مدينة بور بند الهندية سنة (١٢٨٦هـ ـ ١٨٦٩م). اشتهر بلقب (المهاتما) أي: ذو ←

→

النفس الزكية، دعا إلى تحرير الهند من سيطرة الإنجليز بالطرق السلمية بعيداً عن العنف، أنهى دراسة القانون بجامعة لندن عاد بعدها إلى الهند، ثم انتقل إلى جنوب أفريقيا سنة (١٨٩٣م) حيث اشتغل بالمحاماة، ولم يلبث أن انصرف إلى قضية مواطنيه في كفاحهم ضد قوانين التفرقة العنصرية، فبدأ نشاطه السياسي عام (١٩١١م) بالمظاهرات التي نظمها ضد القوانين التعسفية التي شُرعت ضد الآسيويين، ونجح في إلغائها، وفي عام (١٩١٤م) سافر إلى لندن وتطوع في وحدة إسعاف هندية تشارك في الحرب العالمية الأولى.

تضمنت معالم سيرة غاندي منذ عودته إلى الهند عام (١٩١٥م) فقد نادى بوحدة البشر، تحت نواميس الله داعياً إلى المحبة والعدالة والإخاء بين جميع أفراد الأمة الهندية، واعتمد كثيراً على توحيد الكلمة بإقامة الأواصر الطيبة بين الهندوس من جهة والمسلمين والمسيحيين من جهة أخرى، انتهج سياسة (التسامح الطائفي) فنجح في ضم ملايين المسلمين إلى حزب المؤتمر الهندي، وذلك خلال عقده المؤتمرات الجماهيرية العديدة، ولكن هذه السياسة أثارت بعض غلاة الهندوس ودفعت أحد هؤلاء لاغتياله في عام (١٩٤٨م).

من أبرز معالم سيرته تزعمه حركة استقلال الهند من الاحتلال الإنجليزي، فقام بتنظيم حركة عدم التعاون عام (١٩١٩م)، ثم حركة الإضرابات الذي شمل كل الهند، وتلا ذلك تنظيم العصيان المدني ومقاطعة البضائع الأجنبية. قبض عليه مرات عدة وألقي في السجن، وفي عام (١٩٣٠م) نظم المسيرة الكبرى، وعارض قانون احتكار الملح فسجن على إثرها، وفي عام (١٩٤٢م) قاد حملة العصيان المدني الثانية التي أدت به إلى السجن أيضاً. استحدث غاندي في نضاله ضد الاستعمار عدة أساليب أبرزها المقاومة السلبية بدون عنف، ثم سياسة عدم التعاون بالامتناع عن العمل، ثم (العصيان المدني) الذي شمل الامتناع عن دفع الضرائب، ثم مقاطعة
←

والعمل الدؤوب، حيث قام بمقاطعة البضائع الأجنبية، وتحريم استخدام وارتداء الملابس غير الوطنية، وكان تعداد سكان الهند آنذاك حوالي (٤٥٠) مليون نسمة[١] (مع أن الهند لم تكن تملك سلاحاً متطوراً بل كانت تحت حظر التسليح) وكانت تواجه أكبر إمبرواطورية في العالم أي بريطانيا المجهزة بالأسلحة المتطورة، وكانت بريطانيا في ذلك اليوم امبراطورية لا تغيب عنها الشمس كما يقولون، فأمر غاندي شعبه بأن لا يلبسوا الملابس الأجنبية أبداً، وشجع عوضاً عن ذلك بحياكة ونسج الملابس يدوياً.

فنلاحظ أن دولة كان تعداد سكانها (٤٥٠) مليون نسمة، وهم بحاجة إلى الملابس الصيفية والشتوية، كم يستلزم من الوقت لكي يزرعوا وينتجوا محاصيل القطن، ثم يصنعوها ثم يرتدوها.

ولكن هذا الشعب ـ وبعدما أصدر غاندي قراره وأخذ مغزلاً بيده وهيأ لباسه لوحده ـ امتثل لهذا الأمر، ومنذ ذلك اليوم الذي أعلن فيه تحريم الملابس الأجنبية أصبح الشعب الهندي لا يرتدي تلك الملابس

→

البضائع الأجنبية بإحراقها علناً، وركز في تلبية الحاجات المعيشية على الاكتفاء الذاتي والعودة إلى الإنتاج الوطني، يعتبر غاندي من أبرز دعاة السلام في القرن العشرين.

للتفصيل انظر القاموس السياسي، لأحمد عطية: ص٨٣٤ حرف الغين، والمنجد في الأعلام: ص٣٨٧ حرف الغين، وكتاب (تجاربي مع الحقيقة) لغاندي.

(١) تشير بعض الإحصاءات الأخيرة إلى أن نفوس الهند بلغت ما يزيد على مليار نسمة.

أبداً، وذلك لمجرد أن زعيمهم حرّمها، على الرغم من أن بريطانيا وضعت الهند تحت مختلف الضغوط إلاّ أن الشعب الهندي لم يرضخ لها أبداً، وكان هذا الإجراء قد أثر على اقتصاد بريطانيا تأثيراً بالغاً حتى أعجزهم. وكانت النساء الهنديات يقضين الليل بغزل ألياف القطن والكتان، وكان المغزل يلاحظ في أغلب صور الزعيم الهندي حينذاك.

وبهذا الأسلوب وغيره، وعبر التعاون والعمل، استطاع غاندي أن يحرر الهند من الاستعمار الانجليزي؛ لأنه دخل ميدان العمل الفعلي ـ وليس الشعارات فقط ـ بكل قواه والتف حوله الشعب بكل أصنافه ودياناته وعقائده، وآزره وتلاحم معه.. وهذا التجمع والوحدة والتعاون والعمل الذي سعى إليه غاندي كان هو السر في تحرير الهند آنذاك؛ لأن التعاون والروح الجماعية والألفة قوة معنوية، والقوة المعنوية تفوق القوى المادية.

أما الإنسان الذي لا يعمل ولا يتعاون لا يستطيع أن يتقدم؛ لأن النتائج الإيجابية دائماً مرتبطة بالعمل وليست بالتقاعس أو الأماني، فإن: «الأماني شيمة الحمقى»[1] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال عليه السلام: «الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين»[2].

وفي القرآن الحكيم: ﴿وَلَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى * وَأَنَّ

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣١١ ق٣ ب٣ ف٧ ح٧١٩٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣١٢ ق٣ ب٣ ف٧ ح٧٢٠٦.

سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى *ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى﴾ [1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العمل رفيق الموقن»[2].

وقال عليه السلام:

«لو كان هذا العلم يحصل بالمُنى

ما كان يبقى في البرية جاهـــل

اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا

فندامة العقبى لمن يتكاســل»[3]

فلابد من العمل والتعاون لا العمل الفردي، فإن العمل الجماعي أبلغ لوصول الغايات والأهداف، قال عليه السلام: «يد الله مع الجماعة»[4].

وقفة أُخرى مع غاندي

عندما سافر غاندي إلى لندن بدعوة من بريطانيا ذهب ومعه عنزته، لأنه حين مرضه كان يتغذى على حليبها، وقد ذهب بهذه الهيئة وجلس مع اللوردات[5] وهم الذين يخططون ويتصدون لسياسة الامبراطورية

---

(١) سورة النجم: ٣٩ ـ ٤١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٧٧٩.

(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص٣٣٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من خطبة له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين..

(٥) يعتبر مجلس اللوردات ثاني المجالس البرلمانية للمملكة المتحدة (بريطانيا)، ولا يتم انتخاب أعضائه، بل يتم اختيارهم من بين مجموعات مختلفة من كبار النبلاء وذوي ←

البريطانية، وكلما أرادوا أن يقنعوا غاندي على التراجع عن قراره بمقاطعة البضائع الانجليزية لم يتمكنوا، فقد أصرّ على قوله: يجب أن لاتتدخل بريطانيا في بلدي، بل رفض هناك أن يأكل الطعام الإنجليزي، فقد كان يتناول وجباته من لبن معزته، وذلك لكي يبين لهم إصراره وثباته على هذا الموقف.

وأراد اللوردات أن يدخلوا إليه من باب العاطفة فقالوا له: إن أهالي مانشستر، وجهوا لك دعوة لزيارة مدينتهم، فقال غاندي: لا مانع من

→

النفوذ في بريطانيا، الذين كانوا يقومون بتقديم المشورة للملك خلال الفترة المبكرة من تاريخ الدولة، و دور ووظائف مجلس اللوردات مشابهة لمجلس العموم (البرلمان) فيما يتعلق بالتشريع ومناقشة واستجواب المسؤولين التنفيذيين، إلا أن هناك استثنائين: وهما أن أعضاء مجلس اللوردات لا يمثلون الدوائر الانتخابية ولايتناولون الأمور المتعلقة بفرض الضرائب والمالية. وينظر بشكل عام إلى دور مجلس اللوردات على أنه مكمل لمجلس العموم، كما يعمل كمجلس تعديل للعديد من القوانين الهامة، وتلك التي تكون محل نظر، كما أن كافة مشروعات القوانين تمر من خلال كلا المجلسين قبل أن يتم العمل بها وقد يبدأ طرحها في أي مجلس من المجلسين، وعادة ما تطلب موافقة مجلس اللوردات قبل إصدار القوانين البرلمانية، بينما يستطيع اللوردات تعديل كافة التشريعات باستثناء القوانين المتعلقة بفرض الضرائب. كما أن مجلس اللوردات هو المحكمة النهائية لاستئناف الدعاوى المدنية بالمملكة المتحدة والدعاوى الجنائية في إنجلترا، ومقاطعة ويلز وشمال إيرلندا، ويتكون المجلس الآن من ٥٠٠ عضوا من النبلاء واللوردات. وقيل: إن اللورد هو من زادت ثروته على ألف مليون دولار، أي (المليار).

ذلك، وعندما وصل إلى مدخل المدينة، وجد أن هناك جمعاً غفيراً من الناس قد اصطفوا على جانبي الطريق لرؤيته، وفي نهاية الطريق كانت هناك ساحة عامة، وبمجرد وصوله حضر ذلك الجمع من الناس حوله، ثم تحدث أحدهم باسم الجميع مخاطباً غاندي: أترى هذا الجمع الكثير من الناس؟

قال غاندي: نعم؟

فقال: أتعرف عددهم؟

قال غاندي: لا.

فقال الإنجليزي: إن عددهم ٢٥٠ ألف شخص، أتعلم أنك قطعت الخبز عن هؤلاء؛ لأنهم جميعاً من عمال معامل الغزل والنسيج الذي كان يصدر إلى الهند، وهم الآن عاطلون عن العمل، فهل ترضى بذلك؟

فأجابه غاندي قائلاً: كم عددهم؟

قال: ٢٥٠ ألف شخص.

فسأله غاندي أيضاً: هل هؤلاء العمال ينامون جياعاً طوال الليل منذ أن حرمت الهند من استيراد الأقمشة من المعامل التي يديرها هؤلاء العمال؟

فقال الإنجليزي: لا، لأن أصحاب المعامل ملزمون بإعطاء العامل نصف راتبه في حالة توقف المعمل عن الإنتاج.

فسأله غاندي: هل هؤلاء العمال لا يملكون من الملابس ما يقيهم البرد القارص؟

قال: لا.

فقال غاندي: هل ينامون في الأزقة والشوارع؟

قال: لا، بل ينامون في معاملهم، أو بيوتهم.

قال له غاندي: إذاً ما الذي حصل لهم؟

فقال له الإنجليزي: خسارتان: خسارة أصحاب المعامل، والضائقة المادية التي يعاني منها هؤلاء العمال.

فقال غاندي: ليأتي هؤلاء العمال الـ٢٥٠ ألف شخص وليشاهدوا الهند، فإن هناك عشرات الملايين من الناس يقضون الليل جياعاً، وإن الملايين منهم يفترشون الأرض وينامون في الأزقة والشوارع بدون سكن يأويهم، والآن أنتم تريدون أن تؤثروا على مشاعري فأساوي عمالكم هؤلاء بأولئك الملايين الذين ينامون جياعاً في الشوارع، في حين أن عمالكم ـ إن كانوا قد تضرّروا حقاً ـ فهم تضرّروا بضياع نصف رواتبهم فقط، وبسبب السياسات التجارية الجائرة مع الشعوب الفقيرة، فهل أنتم أنفسكم ترضون بهذا الأمر؟ أنا أريد أن أحقق لبلدي استقلالاً اقتصادياً لكي لا نحتاج إلى ملابسكم، فنضطر لإخراج الأموال الطائلة من بلادنا، نحن نريد أن نصنع ملابسنا بأيدينا، نحن نريد أن نزرع، نريد أن تكون لنا ثروة حيوانية مستقلة، كما إننا نريد الحصول على حقوقنا

المشروعة ولم نأت إليكم لنعتدي عليكم، بل أنتم الذين جئتم للتسلط على بلادنا وشعبنا وإخضاعنا ونهب ثرواتنا.

دَور الأمّة

وهنا لابد أن نعرف من الذي وقف إلى جانب غاندي: الجواب: إن الذين وقفوا إلى جنبه ونصروه هم شعب الهند بكامله، فهم الذين قضوا الليالي الطوال حتى الصباح في الغزل وحياكة الملابس، ولو أن غاندي ألزمهم بتحريم الملابس الأجنبية ولم ينصاعوا له، فهل كانوا يحصلون على الاستقلال؟.

ومن هنا يتبين أن روح المبادرة والتعاون يلزم أن تبادر لها الأمة وتصبح ظاهرة عامة؛ إذ لا يمكن للزعماء مهما أوتوا من قوة ونبوغ تحقيق أهداف الأمة بمعزل عنها. فلابد أن تأخذ الأمة دورها في العمل وتسجل حضوراً دائماً في كافة الميادين، لتحقق النصر والتقدم، أما الأمة التي لا تعمل فهي في طريقها للسقوط والانهيار.

ولا يخفى أن الأمة بما هي أمة ليست مصدر القوة، بل الأمة وهي متحدة ومتعاونة ومتلاحمة وعاملة ونشطة، أساس القوة والقدرة.

العلاج من داخل الأمة

العلاج الرئيسي للمشاكل التي يعاني منها المجتمع الاسلامي هو بأيدينا نحن المسلمين، فلا يمكننا أن ننتظر أحداً غيرنا يأتي ليحل لنا مشاكلنا؛ فذلك خلاف العقل والمنطق؛ إذ حينما انتشر الإسلام في زمن الرسولﷺ كان المسلمون هم الذين يتحملون العبء الأكبر ويجدون

الحل لمشكلاتهم بأنفسهم، وبالتالي هم الذين أخذوا على عاتقهم نشر الاسلام وازدهار الحضارة الاسلامية.

المعصومون عليهم السلام أسوة في التعامل والعمل

ولننظر إلى حياة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ونأخذ الدروس والعبر منها، فقد تزوّجت (سلام الله عليها) وهي في عمر يقارب عشر سنوات، وظلت تتعهد إدارة المنزل لمدة ثماني سنوات حتى استشهدت مظلومة شهيدة، وكانت عليها السلام في حياتها تغزل وتخيط وتطحن حتى تدمى يداها، وكانت عليها السلام تعجن وتخبز، وكذلك كانت تقوم بتربية أطفالها على أحسن وجه، وكانت تستخرج الماء من البئر بنفسها، وكل هذه الأعمال مع أنها أنجبت خمسة أطفال؛ لذلك هي عليها السلام أعظم أسوة لنا جميعاً، ولنسائنا خاصة، في التعاون والعمل وتحمل الصعاب والمشاكل في سبيل الله عزوجل.

روي عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً، فقال: «يا فاطمة، هل عندك شيء تغذينيه؟».

قالت عليها السلام: «لا، والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلاّ شيء كنت أؤثرك به على نفسي، وعلى ابني هذين الحسن والحسين».

فقال علي عليه السلام: «يا فاطمة، ألا كنت أعلمتيني، فأبغيكم شيئاً»؟.

فقالت: «يا أبا الحسن: إني لأستحيي من إلهي أن أكلّف نفسك ما

لا تقدر عليه»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «تقاضى علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السلام بما خلفه»، قال: «فقالت فاطمة صلوات الله عليها: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل رقاب الرجال»[2].

وعن سلمان (رضوان الله عليه) قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدار يبكي، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضة؟! فقالت عليها السلام: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها».

قال سلمان: إني مولى عتاقة، إما أن أطحن الشعير، أو أسكت لك الحسين عليه السلام؟ فقالت: «أنا بتسكيته أرفق، وأنت تطحن الشعير»، فطحنت شيئاً من الشعير، فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فرغت، قلت لعلي عليه السلام ما رأيت، فبكى وخرج، ثم عاد يتبسم، فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «دخلت على فاطمة

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٥٩ ب٣ ح٥١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٨ ب١٧ ح١٤٧٠٥.

عليها السلام وهي مستلقية لقفاها والحسين عليه السلام نائم على صدرها وقدامها الرحى تدور من غير يد» فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «يا علي، أما علمت أن لله ملائكة سيارة في الأرض يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة»[1].

وروي أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام فوجده هو وفاطمة عليها السلام يطحنان في الجاروش، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أيكما أعيا؟».

فقال علي عليه السلام: «فاطمة، يا رسول الله».

فقال صلى الله عليه وآله لها: «قومي يا بنية»، فقامت وجلس النبي صلى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السلام فواساه في طحن الحب[2].

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمةالزهراء عليها السلام؟ إنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضر شديد. فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل؟ فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثاً فاستحيت فانصرفت. فعلم صلى الله عليه وآله أنها قد جاءت لحاجة فغدا علينا ... ثم

---

(١) الخرائج والجرائح: ج٢ ص٥٣٠ ب٣ فصل في ذكر أعلام فاطمة البتول عليها السلام.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٥٠ ب٣ ح٤٧.

قال ﷺ: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ ... فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرَّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل؟

قال ﷺ: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما، فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة.

فقالت فاطمة عليها السلام: رضيتُ عن الله وعن رسوله، رضيتُ عن الله وعن رسوله»[1].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن جابر الأنصاري: «أنه رأى النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر الله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2]»[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص ٣٢٠ باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها ح٩٤٧.

(٢) سورة الضحى: ٥.

وهكذا يلزم علينا جميعاً التعاون والعمل ومضاعفة الجهود من أجل توثيق روابط الأخوة والوحدة بين المسلمين لكي تتقدم الأمة نحو سعادة الدنيا والآخرة وذلك عن طريق العمل الصالح المثمر المستمر. ولتكن هذه الأهداف العليا فوق المصالح الضيقة والنظرات القاصرة، ولنقتد في عملنا بأهل البيت الأطهار عليهم السلام.

«اللهم إنا نرغب إليك في دولةٍ كريمةٍ تُعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة» (٢).

→

(١) المناقب: ج٣ ص٣٤٢ فصل في سيرتها عليها السلام.

(٢) المصباح، للكفعمي: ص٥٨١ ف٤٥ فيما يعمل في شهر رمضان.

من هدي القرآن الحكيم

واعتصموا بحبل الله

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣).

الوحدة شعار الأنبياء عليهم السلام

قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) سورة المؤمنون: ٥١ ـ ٥٢.

(٥) سورة الأنبياء: ٩٢.

اليهود أعداء المؤمنين:

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(١).

وقال جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة: ٥١.

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

(٣) سورة آل عمران: ٦٧.

من هدي السنة المطهرة

تعاونوا على البر والتقوى

قال أبو عبد الله عليه السلام: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل: ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «وليعن بعضكم بعضاً فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إن معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة من أخلاق الأنبياء: البر والسخاء والصبر على النائبة والقيام بحق المؤمن»[3].

وعن أبي إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك، إن الشيعة عندنا كثير، فقال: «فهل يعطف الغني على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟» فقلت: لا، فقال عليه السلام: «ليس هؤلاء شيعة؛ الشيعة من يفعل هذا»[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٧٥ باب التراحم والتعاطف ح٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٢٢ ب٣٢ ح١٤٥٠٣.

(٣) تحف العقول: ص٣٧٥ ما روي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٧٣ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح١١.

ذم الخصومة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصّر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخاصم إلاّ شاك في دينه أو من لا ورع له»[٢]. وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إياك والخصومات، فإنها تورث الشك، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلم الرجل بالشيء لايُغفر له»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»[٤].

وحدة المجتمع الإسلامي

قال الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق: «..وأما حق أهل ملتك عامة فإضمار السلامة ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم..»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٩٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٧٥ ب١١٧ ح١٠٢٤٦.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٤١٧ المجلس٦٥ ح٢.

(٤) الكافي: ج٢ ص٣٠١ باب المراء والخصومة ومعاداة الرجال ح٨.

(٥) تحف العقول: ص٢٧١ ما روي عنه عليه السلام في طوال هذه المعاني..

وقال عليه السلام: «يا زهريُّ! أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تِرْبَكَ منهم بمنزلة أخيك. فأي هؤلاء تحب أن تظلم؟ وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه؟ وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟»[1].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى»[2].

ذم الخلاف والفرقة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف»[3].

وقال عليه السلام: «ألزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة»[4].

وقال عليه السلام: «عرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة»[5].

وقال عليه السلام: «من نكد الدنيا تنغيص الاجتماع بالفرقة، والسرور بالغصّة»[6]. وقال عليه السلام: «سبب الفرقة الاختلاف»[7].

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٣٢٠ احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين..

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٣٤ ب١٥ ضمن ح٣٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧١٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧١٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧٢١.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧٢٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧١٩.

وقال عليه السلام: «الخلاف يهدم الآراء»[1].

قم المقدسة

٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ / محمد الشيرازي

الفهرس

كلمة الناشر ٣
التقدم والتلاحم..... ٦
المغبون والملعون ٨
شروط التقدم ٩
الإسلام كل لا يتجزأ..... ٩
التنظيم الاجتماعي..... ١٢
البناء المرصوص ١٩
خصائص القوة ٢٠
العرب وإسرائيل..... ٢٠
الوحدة شعار الأنبياء عليهم السلام ٣٣
إسلام الأوس والخزرج ٣٥
اعتصموا بحبل الله ٤١
وحدة الأعداء وفرقتنا..... ٤٥
اليهود في بغداد..... ٥٥
وفي طهران..... ٥٦

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧١٣.

الحال المعكوس ٥٨
غاندي والعمل والتعاون..... ٦١
وقفة أُخرى مع غاندي..... ٦٥
دور الأُمّة..... ٦٩
العلاج من داخل الأمة ٦٩
المعصومون عليهم السلام أسوة في التعامل والعمل..... ٧٠
من هدي القرآن الحكيم ٧٥
واعتصموا بحبل الله ٧٥
الوحدة شعار الأنبياء عليهم السلام..... ٧٥
اليهود أعداء المؤمنين..... ٧٦
من هدي السنة المطهرة ٧٧
تعاونوا على البر والتقوى..... ٧٧
ذم الخصومة..... ٧٨
وحدة المجتمع الإسلامي..... ٧٨
ذم الخلاف والفرقة ٧٩
الفهرس ٨٠